آيات الخالق الكونية والنفسية

تأليف

رشيد رشدي العابري

إعداد وتقديم

محمود مهدى الاستانبولى

ريعه

لمجاهدى الأفغان

الناشر

مكتبة الضياء - جدة

حى الجامعة ت : ٦٨٩٣٨٦٤

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

وَالنَّفْسِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله عظيمِ المِنَّة ، ناصرِ الدِّينِ بأهلِ السُّنَّة ، لقد أُلفت كتب عديدة فى العصر الحديث من عربيَّة ، وغربية ، كلها تثبت وجود الله سبحانه ، بأدلة علمية ، منها :

أولا : العلم يدعو للإيمان .

الله يتجلى فى عصر العلم .

حل ذلك بعد ليل مـد من الإلحـاد ، كان بسبب النظرية المسماة : « نشوء التطور والارتقاء » التى تُعلن أنّ الكون نشأ من العدم ، ومن نفسه ، فتطور من المخلوقات البسيطة إلى المخلوقات الأرقى وهكذا ...

مما أدى إلى ذيوع الإلحاد ونشر الفساد فى الأرض ، وقد جاء ذلك كله وفق المخططات اليهودية المسماة : « **مقررات زعماء صهيون** » وقد قالوا فيها : إننا استخدمناها لتضليل الشعوب وتكفيرها .

تصدى لهذه النظرية السخيفة الكاذبة الخاطئة التى لا يقبل بها العقل السليم ، كثير من علماء الغرب والشرق فى القرن العشرين وأثبتوا زيفها وضلالها ، وكان منها الحدث التاريخى العظيم باكتشاف جثث بشرية تحت الأرض ترجع إلى مئات القرون والدهور لا يتميز عنها البشر اليوم !

وقد استبشر المؤمنون خيرا وبطلت هذه النظرية الكاذبة الخاطئة !

وإن كانت لا تزال تدرس فى بعض مدارسنا !

ورحم الله تعالى المؤلف : **رشيد رشدى العابرى** ، فقد سارع إلى تأليف هذه الرسالة التى سماها « **آيات الخالق الكونية والنفسية** » تحدث فيها عن كثير

من الحوادث الطبيعية والنفسية الدالة على وجود الخالق العظيم ، فربطناها بالآيات القرآنية الداعية للإيمان به[١] .

وقد ظن ، كما ظن غيره من المؤلفين فى هذا البحث أن الإيمان بالله تعالى يتحقق بمثل هذا البحث وتزول فكرة الإلحاد .

وكل ذلك بعيد عن الصواب والإيمان الحق ، الذى يُدخل صاحبه الجنة وينجو من النّار ، وقد كان عرب الجاهلية قبل الإسلام مؤمنين بأن الله – سبحانه – هو الخالق والمحيى والمميت ، فلم ينفعهم إيمانهم[٢] .

---

(١) ومما يؤسف له ، ويبعث فى النفس الأسى والحسرة أن هذا الارتباط وهذه الالتفاتات التوجيهية مفقودة من كتب العلوم الطبيعية والنفسية ، التى تدرس للأجيال المسلمة – وياللأسف – وهى تخلو من كل ما سبق . ولا يخفى ما يؤدى ذلك إلى الشك والإلحاد وفقدان العقيدة الصحيحة لدى الطلبة ، مما هو من مخططات المستعمرين ، والمستشرقين ، والشيوعيين حتى فى داخل بلادنا ومدارسنا . وقد لفت أحد الإخوة المؤلفين نظر المسئولين المسلمين إلى خطر الابتعاث بأولادنا وبناتنا إلى جامعات الشرق والغرب بسبب ما يتدارسونه فيها من نظريات الإلحاد ، فجزاه الله تعالى خيراً ، وأود أن أذكر بهذه المناسبة أنّ هذا الخطر موجود فى جميع مدارسنا وجامعاتنا التى تدرس هذه العلوم نفسها دون ارتباط بالخالق المعبود ، مما أدى ويؤدى إلى المحاذير نفسها من الانبعاث.

فمن واجب المسئولين الغيورين على المدارس والجامعات الانتباه إلى هذا الخطر والمسارعة إلى الإصلاح والتوجيه حسب منهج القرآن الكريم ، ولا يتسع المجال إلى التنبيه أكثر من ذلك ...

فالحذر الحذر أملاً أن لا نكون ممن يخربون بيوتهم ويدمرون أجيالهم بأيديهم وأيدى الكافرين فاعتبروا يأولى الألباب !

ويؤسفنى أن يتنبه الزعماء الشرقيون والغربيون إلى خطر هذه العلوم المادية والنفسية ، فلا يدرسون ما يخالف نظرياتهم ومبادئهم الإلحادية ، حتى إنهم يتحاشون من جلب أساتذة (بروفسورات !) من المعسكر الذى يخالف مبادئهم !!

فما أكثر حرصهم على الباطل والكفر ..!!

وما أكثر إهمالنا وتفريطنا بالحق !!

لمثل هذا يذوب القلب من كمـدٍ   إن كان فى القلب إخلاص وإيمـان !

(٢) ولهذا رأيت من الواجب أن أتحدث عن الإيمان الصحيح فى هذه المقدمة ، للرسالة السابقة التى كنت منذ سنوات بعيدة قد توليت طبعها ونشرها بين الناس والله سبحانه أسأل أن ينفع بها ويدَّخر لى – ولمؤلفها – جزيل الأجر والثواب .

التوحيد وأنواعه

التوحيد هو إفراد الله بالعبادة التي خلق الله العالَم لأجلها . قال الله تعالى : ﴿ وما خلقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلا ليعبدُون ﴾[1] [الذاريات : ٥٦] .
(أى يُوحدونى فى العبادة ويُفردونى فى الدعاء)

وأنواع التوحيد الآتية مأخوذة من القرآن الكريم :

١ – **توحيد الرب** : هو الاعتراف بأن الله هو الربُّ والخالق ؛ وقد اعترف بهذا الكفار ، ولم يُدخلهم ذلك فى الإسلام ، قال تعالى : ﴿ ولَئِنْ سألْتَهم مَن خلقَهم ليَقولُن الله ﴾ [الزخرف : ٨٧] وقد أنكر الشيوعيون وجود الرب ، فكانوا أشدَّ كفراً من كفار الجاهلية .

٢ – **توحيد الإلٰه** : هو توحيد الله بأنواع العبادات المشروعة ، كالدعاء والاستعانة والطواف والذبح والنذر وغيرها ، وهذا النوع هو الذى جحده الكفار ، وكانت فيه الخصومة بين الأمم ورسلهم منذ نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ ؛ وقد حَثَّ القرآن الكريم فى أكثر سُوَره عليه ، وعلى دعاء الله وحده ، ففى سورة الفاتحة نقرأ ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] . ومعناها نخصُّك بالعبادة ، فندعوك وحدك ، ولا نستعين بغيرك ؛ وتوحيد الإلٰه يشمل إفراده فى دعائه ، والحكم بقرآنه ، والاحتكام إلى شرعه ، وكله داخل فى قوله تعالى : ﴿ إنَّنى أنا الله ، لا إلٰه إلا أنا فاعبُدنى ﴾ [طه : ١٤]

٣ – **توحيد الأسماء والصفات** : هو الإيمان بكل ما ورد فى القرآن الكريم والحديث الصحيح ، من صفات الله التى وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسولُه ﷺ على الحقيقة مِن غير تأويلٍ ولا تكييف ولا تفويض ، كالاستواء والنزول ، واليد والمجىء ، وغيرها من الصفات ، نفسرها بما ورد عن السلف ، فالاستواء مثلاً ورد تفسيره عن التابعين فى صحيح البخارى بأنه العلُو والارتفاع اللذان

---

(١) الآية ردّ على من يزعم أن العالم خُلِق لأجل محمد ﷺ .

يليقان بجلاله قال الله تعالى : ﴿ ليس كمِثلِه شَىْء وهو السميعُ البصير ﴾ [الشورى : ١١]

١ - التأويل : هو صرف ظاهر الآيات والأحاديث الصحيحة إلى معنى آخر باطل مثل استوى بمعنى استولى .

٢ - التعطيل : هو جحد صفات الله ونفيها عنه كعُلُوّ الله على السماء فقد زعمت الفِرق الضالّة أن الله فى كل مكان .

٣ - التكييف : هو تكييف صفات الله ، وأن كيفيتها كذا فَعُلُوُّ الله على العرش لا يشبه مخلوقاته ولا يعلم كيفيته أحد إلا الله .

٤ - التمثيل : هو تمثيل صفات الله بصفات خلقه ، فلا يقال : ينزل الله إلى السماء كنزولنا ، وحديث النزول رواه مسلم .

ومن الكذب نسبة هذا التشبيه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، إذ لم نجده فى كتبه بل وجدنا نفيه للتمثيل والتشبيه .

٥ - التفويض : عند السلف فى الكيف ، لا فى المعنى ، فالاستواء مثلاً معناه العُلوُّ الذى لا يعلم كيفيته إلا الله .

* * *

معنى لا إله إلا الله
(لا معبود بحق إلا الله)

فيها نفى الإلٓهية عن غير الله ، وإثباتها لله وحده .

١ - قال الله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [محمد : ١٩] فالعلم بمعناها واجب ومقدم على سائر أركان الإسلام .

٢ - وقال ﷺ : « مَن قال لا إلٰه إلا الله مُخلِصاً دخل الجنة »
[صحيح رواه أحمد]

والمخلص هو الذى يفهمها ، ويعمل بها ، ويدعو إليها قبل غيرها ، لأن فيها التوحيد الذى خلق الله العالَم لأجله .

٣ - وقال رسول الله ﷺ لعمه أبى طالب حين حضره الموت : « ياعم قل : لا إلٰه إلا الله ، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله ، وأبى أن يقول لا إلٰه إلا الله »
[رواه البخارى ومسلم]

٤ - بقى الرسول ﷺ فى مكة ثلاثة عشر عاماً ، يدعو العرب قائلا : قولوا لا إلٰه إلا الله ، فقالوا إلٰهاً واحداً ما سمعنا بهذا ؟ لأن العرب فهموا معناها ، وأن مَن قالها لا يدعو غير الله ، فتركوها ولم يقولوها ، قال الله تعالى عنهم : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إلٓه إلا الله يَستكبرون ويقولون أئِنا لَتاركوا آلهتنا لِشاعر مجنون بل جاء بالحق ، وصدَّق المرسلين ﴾ [الصافات : ٣٥ - ٣٧]

وقال ﷺ : « مَن قال لا إلٓه إلا الله ، وكفر بما يُعبدُ مِنْ دون الله ، حَرُم مالُه ودمُه »
[رواه مسلم]

ومعنى الحديث أن التلفظ بالشهادة يستلزم أن يكفر ويُنكر كل عبادة لغير الله ، كدعاء الأموات وغيره .

والغريب أن بعض المسلمين يقولونها بألسنتهم ، ويخالفون معناها بأفعالهم ودعائهم لغير الله !!

٥ - « لا إله إلا الله » أساس التوحيد والإسلام ، ومنهج كامل للحياة ، يتحقق بتوجيه كل أنواع العبادة لله ، وذلك إذا خضع المسلم لله ، ودعاه وحده ، واحتكم لشرعه دون غيره .

٦ - قال ابن رجب : « **الإله** هو الذى يطاع ولا يُعصَى هيبة له وإجلالاً ، ومحبة وخوفاً ورجاء ، وتوكلاً عليه ، وسؤالاً منه ، ودعاء له ، ولا يصلح هذا كله إلا لله عز وجل ، فمَن أشرك مخلوقاً فى شىء من هذه الأمور التى هى من خصائص الإله ، كان ذلك قدحاً فى إخلاصه فى قوله : « **لا إله إلا الله** » ، وكان فيه من عبودية المخلوق ، بحسب ما فيه من ذلك » .

٧ - إن كلمة « لا إله إلا الله . تنفع قائلها إذا لم ينقضها بشرك ، فهى شبيهة بالوضوء الذى ينقضه الحديث .

قال ﷺ : « مَن كان آخِر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »

[حسن رواه الحاكم]

* * *

معنى محمد رسول الله

الإيمان بأنه مرسل من عند الله ، فنصدقه فيما أخبر ، ونطيعه فيما أمر ، ونترك ما نهى عنه وزجر ، ونعبد الله بما شرع :

١ – يقول الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتاب النبوة ما نصه « الأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم ، وأكبر هدفهم فى كل زمان وفى كل بيئة ، هو تصحيح العقيدة فى الله تعالى ، وتصحيح الصلة بين العبد وربه ، والدعوة إلى إخلاص الدين لله ، وإفراد العبادة لله وحده ، وأنه النافع والضار ، المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك (الذبح) وحده ، وكانت حملتهم مركزة موجهة إلى الوثنية فى عصورهم ، الممثلة بصورة واضحة فى عبادة الأوثان والأصنام ، والصالحين المقدسين من الأحياء والأموات » .

٢ – وهذا رسول الله ﷺ يقول له ربه :

﴿ قل لا أملِكُ لِنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير ، وما مَسَّنَى السوءُ ، إنْ أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يُؤمنون ﴾ [الأعراف : ١٨٨]

وقال ﷺ : « لا تُطرونى كما أطَرتِ النصارى ابنَ مريم ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله » [رواه البخارى]

والإطراء هو الزيادة والمبالغة فى المدح ، فلا ندعوه من دون الله كما فعلت النصارى فى عيسى ابن مريم ، فوقعوا فى الشرك ، وعلَّمنا أن نقول « محمد عبد الله ورسوله » .

٣– إن محبة الرسول ﷺ تكون بطاعته فى دعاء الله وحده ، وعدم دعاء غيره ، ولو كان رسولاً أو ولياً مقرباً .

قال رسول الله ﷺ : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله
[رواه الترمذى وقال حسن صحيح]

وكان ﷺ إذا نزل به هَمٌّ أو غَمٌّ قال : « يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث » [حسن رواه الترمذى]

ورحم الله الشاعر حين قال :

الله أسألُ أن يُفرِّجَ كربَنا فالكَرب لا يمحوه إلا الله

* * *

آيات الخالق الكونية والنفسية

﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

١ – الأرض وما عليها

إذا قيل لنا إن هذه المدرسة قد تكونت وظهرت كما هى من تلقاء نفسها دون أن ينشئها ويتعهدها معمارى فهل نصدق ذلك ؟ كلا ! فكيف إذن نصدق بأن هذه الأرض التى نعيش عليها بما فيها من مخلوقات منوعة عجيبة لا تعد ولا تحصى وقد وجدت صدفة من تلقاء نفسها دون أن يوجدها من العدم خالق مدبر حكيم وهو الله تعالى ! ﴿ وفى الأرض آياتٌ للمُوقِنينَ ﴾ .

٢ – المظاهر الطبيعية

إذا رأينا لوحة من الورق مرسوماً عليها منظر « طبيعى » بأصباغ دهنية أو مائية تمثل ناحية الطبيعة وهى عبارة عن غابة فيها من الأشجار المنوعة التى تنمو نمواً طبيعياً تتدفق خلالها مياه جارية وحولها أرض مكسوة بأعشاب وأزهار جميلة كأنها حلة سندسية يرعى فيها قطيع من الغنم والماعز لابد أنها تسترعى انتباهنا بما أودع فيها صانعها ورسامها من فن بديع نقر ونعترف بمقدرة مبدع هذه اللوحة الجميلة فكيف إذا رأينا مثل هذا المنظر الخلاب أو أروع منه فى الطبيعة نفسها فى ناحية من بلدنا على ضفاف دجلة أو الفرات أو شط العرب أو فى جدول من نوابع الرافدين ، لابد أننا نعتقد أن لهذا المنظر الطبيعى موجداً قديراً هو الله جل جلاله ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين ﴾ [الذاريات : ٢٠].

٣ - دوران القمر حول الأرض

إذا قيل : إن الساعة التى بيدنا قد تكونت من تلقاء نفسها دون أن يصنعها إنسان فهل نصدق ؟ كلا ! ثم إذا قيل لنا : إن هذه الساعة تشتغل ويتحرك عقربها (ميلها) على دائرة منها لتعين الوقت من تلقاء نفسها دون أن يمسها إنسان لنصبها وتوقيتها فهل تصدق ؟ كلا ! فكيف إذن هذا القمر المبهج الذى نراه ليلا قد صار قمراً متحركاً ودائراً حول الأرض من تلقاء نفسه دون أن يخلقه وينصبه ويوقته - كالساعة - خالق وهو الله رب العالمين ! ﴿ سَنُرِيهِم آياتِنا فى الآفاقِ .. ﴾ [فصلت : ٥٣] .

٤ - الشمس وضحاها

إذا قيل لنا: إن الضوء الكهربائى الذى يضيء دورنا ومدننا قد نشأ من تلقاء نفسه دون أن يكونه إنسان ويتعهده صانع فهل نصدق ؟ كلا ! فكيف إذن نصدق أن الشمس قد صارت من تلقاء نفسها وهى التى يتمتع الإنسان وما على الأرض من حيوان ونبات بضوئها وحرارتها دون موجد وخالق لها وهو الله جل وعلا : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ﴾ .

٥ - زينت السماء بزينة الكواكب

إذا رأينا فى يوم عيد من الأعياد واجهة من واجهات إحدى الدوائر الحكومية فى بلدنا مزينة تزيينا رائعا بمصابيح كهربائية على صور وأشكال مختلفة ملونة بألوان زاهية لابد أننا نعجب من مؤسسها وصانعها على هذا الشكل البديع الخلاب ونقدر له مواهبه الفنية ، ولكنى أعتقد أن مما يدهش كل إنسان ويدعوه إلى زيادة الإعجاب والإكبار وإلى التأمل والاستغراق فى التفكير إلى درجة أعظم هوأنه إذا نظر ليلًا إلى السماء - فى ساعة لا يكون القمر فيها ظاهراً - يراها قد زينت بزينة النجوم والكواكب كأنها مصابيح تتلألأ هنا وهناك تستهويه وتخلب لبه ولا يمل نظره من مشاهدتها لما فيها من بدائع باهرة

فلابد أن يؤمن بصانعها ومنظمها بديع السموات والأرض رب العالمين وخالق كل شيء وهو الله جل جلاله ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّروا فى خلقِ السمٰواتِ والأرْضِ﴾ .

٦ – هندسة الهيكل العظمى

إذا نظرنا إلى أصابع أيدينا نرى أنها ذات مفاصل نتمكن بواسطتها من أن نقبض يدنا أو نبسطها وكذلك بإمكاننا أن نمسك بها الأشياء ونكيفها كما نريد .

كما نرى أنها قد جهزت بأظافر تجعلها أشد مقاومة وقوة . وكذلك أصابع أرجلنا ، فلو خلقت أصابع أيدينا وأرجلنا دون مفاصل من حيث تتصل باليد وبالرجل على شكل قلم صلب لكان من المحال استعمالها فى أشْغالنا كما هى حالتها الآن ولتعطلت عن العمل بتاتاً ولبطلت فائدتها ولما تمكنا من السير على أقدامنا ، وهكذا خلق الهيكل العظمى فينا بمفاصل قدرت تقديراً علمياً هندسياً ميكانيكياً ، بواسطتها يتمكن الإنسان بفضل العضلات والأعصاب التى تكسو العظام من أن يستخدمها كما يشاء ماشياً أو نائماً ، أو لاعباً . وكذلك شأن الحيوانات الفقرية الأخرى . فهل الطبيعة غير المدركة وغير العاقلة ، هى التى قدرت هذا التقدير الحكيم ؟ كلا ! بل إن الله جل وعلا بحكمته وعلمه قدر هذا التقدير البديع فى خلق الهيكل العظمى على صورة هندسية ميكانيكية رائعة مما أدهش العظماء من علماء الهندسة الميكانيكية وحيرهم ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ ﴿ إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .[النحل : ١١]

٧ – القلب كمضخة عجيبة

إذا قيل لنا : إن آلة بخارية فى معمل ما أو مضخة من المضخات قد تكونت من تلقاء نفسها دون صانع لها وأخذت تشتغل دون مشغل لها فهل نصدق ذلك ! كلا ، فكيف نصدق إذن أن آلة من الآلات الموجودة فى الإنسان كالقلب مثلاً تكون دون مبدع وهو يعمل بانتظام بديع بانبساطه وانقباضه المستمرين ، ودائب فى حركته يشبه تماماً المضخة الكابسة والماصة ،

وهو ذلك العضو الذى يدل على عظمة الله وقدرته . وهو كآلة دافعة عجيبة الصنعة قد بذّت كل ما صنعه البشر من الآلات المدهشة فهو وإن كان عضلة لحمية إلا أنه أمتن من الآلة الحديدية فهو يبدأ علمه من بدء تكوين الجنين فى بطن أمه ويستمر فيه دون توقف طيلة عمر الإنسان الذى قد يمتد إلى ثمانين أو تسعين سنة من غير حاجة إلى الصيانة أو الإصلاح اللذين تحتاج إليها الآلة الحديدية مع قلة الفترات التى تعمل فيها . أليس هذا بدليل قاطع وبرهان ساطع على وجود خالق حكيم قدير ﴿ وفى أنفُسِكُم أفلَا تُبصِرُونَ ﴾

[الذاريات : ٢١]

٨ - الأعصاب كالأسلاك الكهربائية

إننا نصدق بأن الأسلاك الكهربائية التى فيها طاقة كهربائية ناتجة من مولد كهربائى أوجده الإنسان فكيف لا نصدق إذن بأن فى الأعصاب المنتشرة كالأسلاك الكهربائية فى جميع جسم الإنسان طاقة تتحرك عضلاتها ، وأى جزء من أجسامنا نتيجة قوة أوجدها الله فى جسمنا ﴿ وفِى أنْفُسِكُم أفلَا تُبصِرونَ ﴾ .

٩ - حاسة الذوق المدهشة

إذا قيل لنا : إن العلماء اخترعوا آلة تفرق مذاق الأشياء بين مرها وحامضها وحلوها وغير ذلك وتعزل الواحد عن الآخر لربما صدقنا ذلك لأن العلم قد جاء بمخترعات تدهش الألباب . ولكن لو علمنا أن هذه الآلة العجيبة المدهشة هى لدينا وفينا وهى لساننا الذى فى فمنا لأخذنا العجب . والغريب المدهش فى ذلك أن اللسان قسم إلى مراكز كل مركز يتذوق ذوقاً لا يتذوقه مركز آخر فلو فكرنا قليلاً فى حاسة الذوق هذه المتمثلة بلساننا حيث نتذوق بها ما نمضغه من طعام على أنواعه لآمنا بأن خالقاً عظيماً حكيماً خلق هذه الحاسة العجيبة وهو الله جل جلاله ﴿ وفى أنْفُسِكم أفلَا تُبصِرُونَ ﴾ .

١٠ – حاسة اللمس العجيبة

إذا قيل لنا إن : العلماء اخترعوا آلة فيها قوة حاسة عجيبة تتمكن من تمييز الأشياء بمجرد لمسها فتفرز الناعم منها والخشن والرقيق والسميك وتعزل الواحد عن الآخر لعلنا نصدق ذلك لما جاء به العلم من مخترعات كثيرة . ولكن إذا علمنا أن هذه الحاسة العجيبة فى جلدنا وخاصة فى أطراف أصابعنا (بناننا) تميز كل ذلك بدقة عظيمة جداً ، لابد لنا من الإيمان بأن حاسة اللمس المدهشة هذه قد أبدعها وقدرها خالق عالم حكيم وهو الله تعالى ﴿ وفِى أنْفُسِكُم أفلَا تُبْصِرونَ ﴾ .

١١ – حاسة السمع المحيرة للعقول

إذا قيل لنا : إن جهازاً كهربائياً اخترع له حاسة سمع صناعية وهو (الميكرفون) لابد أن نصدق بالنظر إلى ما نراه ونسمعه يومياً عما يفعله هذا الجهاز فنؤمن بمقدرة صانعه ومهارته العلمية والفنية . ولكن إذا فكرنا فى حاسة سمعنا فى أذننا ودقتنا ما ظهر منها من تلافيف وتعاريج وما خفى فى داخلها من أغشية وكيف أنها تتلقى الأصوات المختلفة من التموجات الاهتزازية فى الهواء فنسمعها لهالنا أمرها ولقدرنا ما فيها من صنعة بالغة الإتقان فلولا هذه التلافيف والأغشية على شكلها الخاص لما كان فى الإمكان حصول السماع وهذا لا يأتى إلا بصنع العالم الخبير الحكيم الذى أتقن كل شىء خلقه وهو الله جل وعلا ﴿ وفى أنْفُسِكُم أفلَا تُبصِرُونَ ﴾ .

١٢ – وظائف الجلد الخطيرة

إن كل ناحية من جسمنا لدليل قاطع وبرهان ساطع على وجود خالق عظيم واحد أحد لا شريك له فى ملكه ، فلنأخذ مثلاً جلدنا المتكون من البشرة والأدمة فإن فيه من الغرائب والعجائب التى لو دققناها لهالنا أمرها فنعلم

أن الجلد مثقب أى ذو مسامات لولاها لما أمكن للإنسان أن يعيش ، إذ أن فيه من الغدد العرقية التى تفرز عرق الجسم لينظم حرارته ويجعلها ثابتة بالنظر لتبخره واستهلاكه كميات من حرارة الجسم . وكذلك فى الجلد غدد دهنية ترطب الشعر وتحتفظ بنعومة بشرة الجلد ، وبالجملة لو علمنا بما للجلد من وظائف هامة جداً لأكبرنا هذه الصنعة الخارقة المتقنة ، فالجلد يحمى الإنسان من الأضرار الخارجية والمكروبات الضارة ، والجلد ينظم درجة حرارة الجسم ويطرح العرق وهو المادة الضارة به . والجلد يعاون الكليتين بإفراغها ؟ والجلد يمنع خروج السوائل الجسمية النافعة للإنسان ، فضلاً عن أنه مركز لحاسة اللمس . وبعد هذا كله أليس من العقل الراجح والتفكير الصحيح أن نستدل بذلك كله على خالق عليم حكيم قدير وهو الله سبحانه وتعالى ﴿ وفِي أَنْفُسِكُم أفلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

١٣ - الخطوط الدفاعية فى الإنسان

أثبت العلم أن فى جسم الإنسان خمسة خطوط دفاعية تحفظه من شرور الأمراض المنتشرة والضارة به وهذه هى :

(أ) جلد الإنسان كما ذكرناه آنفا . (ب) الأغشية المخاطية . (ج) عصير المعدة الذى له قوة دفاعية بفضل حموضته يقتل بها الجراثيم إذا كانت قليلة العدد . (د) الكريات البيضاء فى الدم .(هـ) الأنسجة اللمفاوية وهى آخر خط للدفاع بعد تغلب الجراثيم على الخطوط الدفاعية الأمامية . وإذا عجزت الخطوط الدفاعية الخمسة الآنفة الذكر عن مقاومة هجوم الجراثيم الضارة فتمكنت الجراثيم وسمومها من الوصول إلى الخلية التى هى المادة الحيوية للجسم ، فإن للخلية أيضاً قوة دفاع خاصة بها تتخلص فى تجنيد ما يسمى بـ (الأجسام المضادة) ومهمتها مقاومة الأجسام المغيرة ! ولو علمنا كيف تقوم الكريات البيضاء (وهى حوينات صغيرة جداً) بمهاجمة الجراثيم الضارة والتهامها إذا تمكنت هذه من التسرب إلى داخل الجسم ، وكيف تكون الحرب طاحنة مروعة بين الكريات البيضاء والجراثيم - كل ذلك لوقاية الجسم - لهالنا الأمر ولأيقنا أن الذى أودع هذه القدرة فى هذه الكريات البيضاء بحيث تشعر

وتميز المكروب الضار عن النافع وتهاجم الضار فقط ، لعلى أعظم جانب من الحكمة والقدرة والرحمة والحنان وهو الكريم المنان رب العالمين ﴿ وإنْ تعُدُّوا نعمةَ الله لا تُحصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] . أفليس من الواجب على كل إنسان أن يحب الله حباً يفوق حب كل شيء ويطيع أوامره ويتجنب نواهيه ﴿ .. وفـيِ أنْفسِكُم أفلَا تُبصِرونَ ﴾ . ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ .

١٤ – قوة المعدة الخارقة مع ضعفها

نعرف كلنا أن القدور الحديدية والنحاسية أو غيرها من الأوانى المعدنية تطبخ فيها أنواع الطعام بواسطة الوقود وبمرور الزمن تفنى وتبيد هذه القدور . ولكن إذا قيل لنا إن قدوراً صغيرة غير مكونة من معدن بل من جلد رقيق ولحم لين يطبخ فيها وينضج ما هو أصلب منها يومياً وبصورة مستمرة دون انقطاع غير أنها لا تتأثر . وتواصل هذه القدور اللحمية هذا العمل الشاق الدائم مائة سنة أو تزيد عكس القدور الحديدية النحاسية التى تفنى وتبيد بأقل من تلك المدة بكثير . إذا قيل لنا ذلك هل نصدق ، ولابد أننا نعجب لهذه القدور اللحمية هل عرفتم ما هى ؟

هى معدتنا التى فى جوفنا تطبخ وتهضم ما يدخل إليها من طعام على أنواعه بعصاراتها وتقلصاتها المستمرة ولا تنهضم هى ولا تبلى فى عشرات السنين . ولم يعلم حتى الآن سر قوتها مع ضعفها . أليس ذلك بتقدير الحكيم العليم وهو الله جل جلاله ﴿ وَفيِ أنْفُسِكم أفلَا تُبْصِرونَ ﴾ .

١٥ – آلة الصوت والكلام العجيبة

لابد أَن كُلًّا منا قد رأى آلة الصوت التى تدعى بالحاكى أو (غرامافون) وسمع كيف أنها تغنى أغنية شجية بأصوات رخيمة غالباً ، فهل نصدق أنها تركبت من تلقاء نفسها فنسمع لها أصواتاً من ذاتها دون صانع ومدير لها ؟ كلا ! فكيف إذن لا نؤمن بأن آلة الصوت عندنا التى نتمكن أن ننطق بواسطتها أصواتاً مختلفة من كلام وغناء قد أبدعها الخالق الحكيم وهو الله تعالى ؟ ﴿وفيِ أنْفُسِكُم أفلَا تُبصِرونَ ﴾ .

١٦ - حاسة الشم المحيرة للعقول

قد اخترع جهاز كهربى يقوم مقام حاسة الشم ، فله حاسة صناعية لا تقل إحساساً عن حاسة الشم الطبيعية عندنا ، ويدعى هذا الجهاز بجهاز كشف الغازات إذ أنه يكشف الغازات السامة فوراً ، فيقرع جرساً فى حال انفلات هاتيك الغازات السامة فى أرجاء المصانع الكيمائية أو فى المناجم وذلك لوقاية العمال من الأضرار التى تتولد منها ، فإذا علمنا بهذا الجهاز الكهربائى وبما يقوم به من أعمال لفائدة الإنسان لابد لنا أن نقدر صانعه ونعترف بمهارته الفنية العلمية ، ولذلك فإن تفكيرنا فى حاسة الشمِّ عندنا يكفى للاعتقاد بوجود خالقها ، لأنها حاسة مدهشة حيرت العلماء بدقتها ورقتها وقوة شعورها . فعجيبة جداً هذه الخلايا العصبية بالأنف ، كيف تشعرنا بدقة متناهية بأنواع الروائح ، فلو اجتمع علماء الأرض لما تمكنوا من أن يصنعوا مثل هذه الحاسة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . فكيف يؤمن امرؤ بأن هذا الجهاز ليس له صانع قدير أحكم التدبير والتقدير وهو الله جل جلاله ؟ ﴿ وفِى أنْفسِكُم أفلَا تُبْصِرونَ ﴾ .

١٧ - التمثيل الغذائى المدهش

إذا قيل لنا إن عالماً عبقرياً من العلماء قد اخترع معملاً من أغرب وأعجب المعامل وأعظمها لأن هذا المعمل الرائع جداً يحول المواد التى يتلقفها من نشائية ودهنية وسكرية ومعدنية وغيرها إلى مواد قابلة للذوبان كلها فى السوائل على اختلاف أنواعها لأخذنا العجب ولأكبرنا هذا الاختراع العلمى الفذ . ولكن إذا علمنا أن هذا المعمل العجيب فى فمنا ومعدتنا وأمعائنا وهو ما يدعى بهضم الأغذية وامتصاصها وتمثيلها وذلك عن طريق العصارات المختلفة التى تفرزها الغدد والأغشية من جهة وعن طريق حركة المعدة الرحوية والحركة الدودية للأمعاء من جهة أخرى لأيقنَّا بأنه لابد لوجودها من عليم حكيم قدير قدر هذا المعمل الطبيعى فى جسمنا ، تحلل فيه الأغذية على أنواعها

لتتمكن أن تتسرب بالامتصاص، إلى الدم ليحتفظ الإنسان بحيويته ويعيش، ذلك هو الله جل جلاله ﴿ وفِي أَنْفُسِكم أفلا تُبْصِرُونَ ﴾ .

١٨ – حاسة البصر العجيبة الخارقة

لو قيل لنا : إن عالماً من العلماء صنع عيناً سحرية تتمكن من تمييز الأشياء عن بعد أو قرب لصدقنا ذلك بالنظر إلى ما نراه من المخترعات العلمية المدهشة . فعيون الرائد اللاسلكى الرادار تستطيع بلا شك رؤية الأشْباح فى الظلماء وإن كان الضباب مخيماً على أشده ، وتخبر عنها وهى بعيدة عشرات الأميال ، فياله من اختراع عجيب يمتاز صاحبه بمقدرة فنية رائعة جداً . فكيف لا نعتقد إذن بوجود صانع لعيننا الباصرة بما فيها من دقائق الصنعة الخارقة المستندة إلى علم يقال له (علم البصريات) ؟ فلابد إذن أن نؤمن بأن مبدعاً أبدعها على أحسن مثال وقد طوى فيها السحر الحلال والفتنة والجمال . فسبحان الخلاق العظيم ذى الجلال ﴿ وفِي أَنْفُسِكم أفلَا تُبْصِرونِ ﴾ .

١٩ – كيفية الإدراك الخارقة فى المخ

إن دماغ الإنسان وهو عبارة عن غدة مخية مضرسة معرجة هو مركز العقل والتفكير والإدراك . وإن المادة من لحم وعضل وعصب وغير ذلك بذاتها عديمة الإدراك فلا تعقل ما يصدر بواسطتها من التغيرات الفكرية . فهل تدرك آلة الساعة حركة الأوقات التى تشير إليها ؟ وهل تدرك القراطيس التى نكتب عليها الأفكار المسطرة فيها ؟ كلا ثم كلا ! فالدماغ أيضاً كمادة مخية لا يدرك هو عينه ما نفكر فيه ، فمنشأ هذا الإدراك إذن عن طريق المخ هو قوةٌ روحية قد منحها الله الإنسان ﴿ وفى أَنْفُسِكم أفلَا تُبْصِرونَ ﴾ .

٢٠ – كيفية وصول الغذاء إلى كل خلية بمقدار ما يناسبها

إننا درسنا كيفية (تمثيل الغذاء) بعد أن يتحول من كيموس إلى كيلوس وتنتخب كل خلية من خلايا الجسم مادة تلائمها وهذا

هو التمثيل . فالأعضاء الهضمية مثلاً تختار مادة (كلور الصوديوم) ، والطحال والكبد ينتخبان مادة الحديد ، والغدد التناسلية تجتذب مادة الفسفور ، والمجموع العصبى يأخذ الكلس والمغنسيوم والفسفور ، وهكذا ... الخ ، كلنا نعلم ذلك . ولكن كيف وصل إلى كل خلية ما يناسبها من الغذاء ، وما هى هذه القوة التى أرسلت كل ذرة إلى محلها المناسب ؟ فلابد أن هناك قوة روحية أوجدها الله تعالى العظيم ﴿ وفِي أَنْفُسِكُمْ أفلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

٢١ – المكتبة السحرية فى الدماغ

إذا قيل لنا : إن عالماً اخترع مكتبة فيها أنواع الكتب ولكن لا كالمكتبات المعروفة بل هى مكتبة مجهزة بأزرار كهربائية ، فإذا ضغطنا زراً كهربائياً ظهرت لنا فوراً لوحة منقوش عليها ما نريده من بحث فى العلوم الاجتماعية ، وإذا ضغطنا زراً آخر برزت لنا لوحة أخرى كتب عليها ما نريده من بحث فى العلوم الطبيعية وهكذا . ولكن الغريب المدهش أن فى المكتبة السحرية أزراراً كهربائية من أنواع أخر إذا ضغطنا واحداً منها ظهرت لوحة منقوش عليها ما مر علينا فى طفولتنا من وقائع وأحداث ، وبضغطنا زراً آخر تبرز لنا لوحة أخرى تذكرنا بما حدث فى صبانا وهكذا أزرار أخرى تذكرنا بألواحها بما مر علينا فى حياتنا الماضية من أحداث ! فلابد أن نعجب عجباً لا مزيد عليه بهذه المكتبة السحرية . ولكن لو علمنا أن هذه المكتبة السحرية هى فى دماغنا الذى سجل فيه كل ما وقع لنا فى سنين عديدة مضت نتذكرها عندما نستعرض حوادثها واحدة بعد أخرى كما سجل فيه ما درسناه وتعلمناه من علوم على اختلافها نذكرها عندما نريد ، لو علمنا ذلك كله بواسطة تلك القطعة المخية الصغيرة لأخذنا الخشوع ولسجدنا إلى بارئ الوجود ومصوره الذى وهبها قوة خارقة أودعها فى الغدة المخية . فسبحان الخلاق العظيم الحكيم ﴿ وفى أَنْفُسِكم أفلَا تُبْصِرونَ ﴾ .

٢٢ - أسرار أعصاب الإنسان المتشابهة

إن الأعصاب الصغيرة الموجودة فى العين والأذن والأنف واللسان والكف تتأثر بتأثيرات خاصة بكل منها ؛ فينشأ عنها النظر والسمع والشم والذوق واللمس . ولكن هذه الأعصاب النحيلة المتشابهة كل التشابه فى طبيعتها وشكلها وعملياتها تختلف كل الاختلاف فى وظائفها والنتائج الحاصلة عنها . فكيف تتم هذه الحواس الخمس عن طريق هذه الأعصاب المتشابهة ؟ لقد حار العلماء فى تحليل أسرار الإحساس على هذه الصورة . فسبحان الله المدبر الحكيم الذى أتقن كل شيء صنعه جل جلاله ﴿ وفِي أنْفُسِكم أفَلاَ تُبصِرونَ ﴾ .

٢٣ - الهاتف (التلفون) البرق (التلغراف) فى أعصابنا

يحتوى المخ على نوعين من الخلايا :

النوع الأول : موجود أغلبها فى القشرة الخارجية وتسمى هذه الخلايا فى مجموعها بالمادة السنجابية ، وقد صنفت وخصصت لكل منطقة من المادة السنجابية وظيفة معينة . ويسمى الأطباء هذه المناطق بالمراكز العصبية . فهناك مراكز للحركة وثانية للسمع وثالثة للبصر ورابعة للنطق، وأخرى لتنظيم درجة حرارة الجسم وأخرى للقراءة ومثلها للكتابة إلى آخره .

أما النوع الثانى : فهو فى باطن المخ وهو أبيض اللون بالنسبة للقشرة ، وهو عبارة عن مجموعات من ألياف عصبية تصل أجزاء المخ المختلفة من جهة ، وتتصل بالألياف العصبية الموجودة فى النخاع الشوكى من جهة أخرى ، فمن هذه المجموعات ما يحمل الرسائل والإرشادات من الأعصاب إلى المراكز الرئيسية ، ومنها ما يحمل أوامر هذه المراكز إلى أعضاء الجسم ، ومنها ما يحمل رسائل بين المراكز المختلفة داخل المخ لتعمل بعضها مع بعض فى اتساق وتوافق . فنرى من شرح هذه التفصيلات جهازاً عجيباً مدهشاً فيه مراكز

للهواتف (التلفونات) ومراكز للأسلاك الكهربائية منها مرسلة ومنها آخذة تعمل بنظام وضبط خارقين ، أليس من العقل الراجح والتفكير الصحيح أن نعتقد بأن لهذه الخوارق فى جسمنا مبدعاً عليماً حكيماً وهو الله رب العالمين ؟ ﴿ وفى أنْفُسِكم أفلَا تُبصِرُونَ ﴾ .

٢٤ – القوى الخفية المحيرة للعقول فى الإنسان

يشعر كل إنسان بما فى نفسه من القوى الخفية التى أدهشت أولى الألباب من علماء النفس ، وحيرتهم فى تفسير تأثيراتها .

ولكن يكفى أن نذكر من هذه القوى قوتين فى الإنسان تتنازعانه وتتصارعان دائماً فيما بينهما وهما قوة للخير وقوة للشر ، ولا يعرف عن ماهية هاتين القوتين شيء ولا يمكن للإنسان أن يراهما لأنهما من القوى الخفية ولكن يعتقد الإنسان بوجودهما حتماً ، لأنه واقع تحت تأثيرهما ، فقوة الخير تحضه على الفضائل والمكرمات ، وعكسها قوة الشر فإنها تدعوه إلى الرذائل والمحرمات ، فما هى حقيقة القوتين المذكورتين وما مصدرهما ؟

أليس من العجيب .. !! أننا لا نعرف عنهما شيئاً مذكورا برغم أننا تحت سيطرتهما ...! فهل يبقى من شك بعد ذلك من أن خالق الكون على هذه السنن الطبيعية التى أدهشت العلماء خلق هذه القوى الخفية لحكمة أرادها ..؟! ﴿ أو لَم يَتفكَّروا فى أنْفُسِهم ﴾ [الروم : ٨] .

٢٥ – الخلق الجديد فى كل لحظة من حياة الإنسان

إن عضلات جسم الإنسان وأعصابه ، وعظامه ، ودمه .. وغير ذلك من أجزاء جسمه تتكون كلها من خلايا هى كائنات حية دقيقة – جدًّا – وجديرة بالإكبار والإعجاب لما تقوم به من أعمال خارقة للمحافظة على كيان حياة الإنسان . وكذلك الخلايا فى النبات ، والحيوان . وهذه الخلايا فى كل حى تصير إلى الهلاك ولكن لا تلبث أن تتكون منها خلايا جديدة نشيطة بواسطة الأغذية البانية ..!

وهكذا فى كل لحظة من لحظات الزمن تنشأ من هذه الخلايا ملايين الخلايا التى تعوض عن الخلايا الهالكة التى تخرج عن طريق الإفرازات المتنوعة فى جسم الإنسان . وكذلك فى النبات والحيوان ، فلو تفكر الإنسان فى هذه المعجزة فى جسمه التى لا يشعر بها ولكنها ثابتة علميا ، إثباتاً لاشك فيه ، والتى تدل على خلق جديد فى كل لحظة لآمن بقدرة الخالق وحكمته .

هذا فضلاً عن أن ما يجرى فى الإنسان فى كل لحظة من حياة الخلايا وموتها يبرهن برهانا حسياً عن إمكانية البعث بعد الموت ...!

﴿ أفَعيينَا بالخَلْقِ الأول بلْ هُمْ فى لَبْس مِن خَلقٍ جَديدٍ ﴾
[ق : ١٥]

٢٦ – مصانع الجسم البشرى الكيماوية التى أدهشت العلماء

إن الله تعالى – جهز الإنسان والحيوان بغدد هى مصانع كيماوية تنتج سوائل تدعى بالهرمونات تفرزها مباشرة إلى الدم ولولاها ، لما كانت حياة .

وهى كثيرة فى جسم الإنسان ولكل منها وظائف ، اختصت بها وقدرت لها ... وهى معروفة لدى من اطلع على علم وظائف الأعضاء وعلم التشريح – ولا حاجة لذكرها – ولكن يكفى للعبرة أن نذكر بعض الغدد ومنها الغدد النخامية مثلاً الواقعة فى أسفل المخ (الدماغ) والتى تؤثر هرموناتها فى النمو زيادة ونقصانا ..! ثم الغدتان الدرقيتان الواقعتان فى الجدار الباطن للبلعوم ، كيف يؤثر إفرازهما فى الإبدال الحيوى فى جميع أنحاء الجسم ! والغدتان فوق الكليتين كيف يؤثر الهرمون منهما على زيادة ضغط الدم وتقوية ضربات القلب وإسراعها ، ثم الغدة البنكرياسية كيف يؤثر هرمونها الذى يعرف بالأنسولين على تحولات وإنتاج السكر فى الجسم .

وبهذه المناسبة نذكر الكبد كيف يتصدى دوماً للسموم التى تدخل الجسم ويستخلصها من دم الإنسان ويدمرها تدميرا ، وإذا أفلتت من الكبد زوائغ من السموم تلقتها الكلية ودفعتها دفعاً إلى الخارج مع البول ..!

لو فكرنا ملياً فى كل ذلك لآمنا إيماناً لا شائبة فيه بأن لهذه الأعمال الخارقة الجبارة خالقاً حكيماً قدر كل شىء تقديرا . والحق أن الجسم البشرى آلة عجيبة تعد بحق أشد الآلات احتمالاً على وجه الأرض ، وأدق إتقانا من أى مصنع اخترعه الإنسان ، فقد زود الجسم البشرى بمصانع كيمياوية لا مثيل لها حيرت وأدهشت العلماء ، كما زود بقوة كامنة هائلة لمواجهة (الطوارىء) ومقاومة المكروبات والسموم ﴿ أَوَ لَم يَتفَكَّروا فى أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الروم : ٨]. ﴿ وفى أنْفُسِكُم أفَلا تُبصِرُون ﴾ [الذاريات : ٢١] .

٢٧ – المعمل الكيماوى العجيب الذى ينتج شرابا سائغاً

إذا قيل لنا : إن معملاً عجيباً قد اخترعه أحد العلماء يحول ما يتلقفه من خضراوات وغيرها ... عن طريق التفاعلات الكيماوية المعقدة الخارقة إلى شراب خالص من كل شائبة مستساغ لذيذ – جداً – وفيه فيتامينات حيوية هامة لتغذية الإنسان ونموه وقوام حياته – لو قيل لنا ذلك لأخذنا العجب ولأكبرنا هذا المعمل الكيمياوى المدهش وهذا الاختراع العلمى العظيم .

ولكن إذا علمنا أن هذا المعمل الكيمياوى هو طبيعى فى الحيوانات اللبونة لازدادت دهشتنا لأن هذه الحيوانات تنتج مما تأكله من خضروات وحشائش وغيرها لبناً يخرج من بين فرثها ودمها ..!! (بتفاعلات كيمياوية معقدة عجيبة) أجل إنها تخرج لبناً خالصاً من جميع الشوائب سائغاً للشاربين مغذياً وحاوياً على جميع عناصر التغذية أليس ذلك بدليل قاطع وبرهان ساطع على عظمة الخالق الحكيم العليم ﴿ وَإنَّ لَكم فِي الأنعامِ لعِبْرةً نُسقِيكُم مِمَّا فِي بُطونِهَا من بينِ فَرْثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سَائِغاً للشَّاربِينَ ﴾[النحل : ٦٦] .

٢٨ – أسرار الخلقة فى النطفة

إن أجزاء النطفة المادية تتراكم وتتركب فى صورة منظمة مطردة على أنموذج معين لإيجاد الجنين . ولا شك فى أن هذه الكيفية ليست من آثار التصادف الأعمى بل إن هذه الحالة أو الكيفية التى تتكرر على هذا النحو

مرات لا تحصى ولا تعد فى العام فى جميع التولدات الحيوانية لابد أن تكون تابعة لقانون وقاعدة ، والقانون والمصادفة ضدان لا يجتمعان ، ولا يمكن حمل هذا الشكل على مهارة النطفة وحذقها ، لأننا إذا تصورنا النطفة ذات روح فى حالة بدائية كان من العبث القول بأنها فى حالتها الابتدائية تفعل ما لا يمكن أن يفعله وما لا يمكن أن يفهمه ذو روح فى حال كماله . فمن المحال أن تتشكل النطفة وتتطور جسماً حيوانياً دون أن تكون خاضعة لمؤثر معنوى ، كما أنه لا يتصور حلول الأجزاء المادية التى تجول فى الماء والهواء فى الرحم بواسطة التنفس والتغذى واجتماعها حول النطفة بميلها الطبيعى وتدبيرها وإرادتها لتشكيل الجنين لأن الاكتشافات العلمية تدل على أن الأجزاء المادية تتحرك حركة قسرية خاضعة لقوانين معينة ولكنها مجردة من الإرادة الذاتية .

والكيماويون يركبون هذه الأجزاء المادية على النحو الذى يريدونه وفى النس[illegible] التى يعينونها لاستحضار المواد المتنوعة والأملاح بل الحجيرات ولكنهم لا ي[illegible]يعون إنتاج أبسط الآثار الحيوانية ..!

هذا ..! ولو تعلم كيف أن الملايين من الحوينات المنوية فى النطفة تتسابق لأن تتلقف البويضة سالكة الطريق المعين للتلقيح دون غيره وكيف أن البويضات تتسارع متلهفة لأن تتعانق مع الحوين المنوى للتلقيح سالكة نفس الطريق ولكن من جهة مضادة متقابلة وكيف أن الحوين المنوى بعد تلقيحه بالبويضة يحيط نفسه بغلاف فور التلقيح مباشرة ليمنع تداخل حوين آخر يشاركه أو يفسد عليه فى التلقيح لو علمت كل ذلك لسجدت خاشعاً إلى بارئها ومصورها وهاديها إلى ما خلقت له ..! فسبحان الخلاق البارئ المصور الذى قدر فهدى ﴿ أو لم يرَ الإنْسانُ أنَّا خَلقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يٓس : ٧٧] ﴿ قُتِلَ الإنْسانُ مَا أَكْفَره مِنْ أَيِّ شَىءٍ خلقَهُ مِنْ نُطفَةٍ خلَقَهُ فَقدَّرهُ ثم السبيلَ يسَّرَهُ ... ﴾ صدق الله العظيم

[عبس : ١٧ - ٢٠]

* * *

إن ما ذكرناه آنفاً مما أودعه الخالق فى جسم الإنسان من خوارق هو غيض من فيض يدل دلالة واضحة على رب حكيم عليم خبير ؛ ولذلك دعا

الحكماء الإنسان إلى التبصر بما فى نفسه من غرائب ليتوصل بها إلى معرفة خالقها .

وقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : (اعرف نفسك تعرف ربك)

٢٩ – الحكمة فى التضاريس الأرضية

لو تصورنا سطح الكرة الأرضية مسطحاً لا مرتفعات فيه ولا منخفضات بل هو على مستوى واحد من سطح البحر فماذا كان يحصل؟! تتجمع مياه الأمطار على هذا السطح فيتحول بمرور الوقت إلى مستنقعات . إذ لا توجد منحدرات ولا أودية ينصرف عنها الماء إلى البحر والمحيطات ، فمثل هذا السطح من الأرض اليابسة لا يمكن أن يعيش الإنسان عليه بل يكون مأوى للحشرات والهوام ولذلك أوجد الله سبحانه وتعالى قوى (علمناها من دراستنا الجغرافية) جعلت سطح الأرض مختلف التضاريس من جبال وأودية وسهول وهضاب وأنهار ومنحدرات ومرتفعات شاهقات لتكون صالحة لسكنى الإنسان فضلاًعن أن اختلاف التضاريس يؤدى إلى اختلاف المناخ وهو العامل فى تكييف الظروف وتنويع النباتات والمزروعات والحيوانات لتتوافر مؤهلات الحياة فيها . أليس ذلك بدليل قاطع على وجود خالق عليم حكيم قدر كل شىء تقديرا ﴿ وفى الْأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٣٠ – النظام الرائع فى توزيع التضاريس

ولو نظرنا إلى كيفية توزيع الجبال والنجود على سطح الأرض لدهشنا من هذا التوزيع الرائع البديع إذ كلما تقدمنا إلى جهات المنطقة الحارة من العالم تأخذ الجبال والنجود بالارتفاع بصورة عامة ، وكلما تقدمنا إلى المناطق الباردة تأخذ هذه المرتفعات بالانخفاض بصورة عامة حتى تكون سهولا . وبهذا الترتيب المنسق تلطف المناخ غالباً فى المنطقة الحارة من الأرض وما يليها

شمالاً وجنوباً وذلك لشواهق الجبال وسوامق النجود فيها وبذلك صلح الغالب منها للسكنى . وكذلك خفت وطأة البرد في المناطق المتجمدة وذلك لانخفاض أراضيها فصارت صالحة للسكنى ، فلو كانت الحالة معكوسة أى لو كان سطح اليابس من الأرض يتدرج بالارتفاع كلما تقدمنا إلى المنطقة الباردة حيث تكون شواهق الجبال ويتدرج بالانخفاض كلما اتجهنا إلى المناطق الحارة حيث تكون المنخفضات من السهول لتحول معظم المنطقة الباردة إلى جمد لا يمكن معه السكنى فيها ولتعرض معظم المنطقة الحارة لحرارة شديدة لا تطاق . فهل هناك قوة لا تدرك ولا تعقل قدرت هذا النظام فى توزيع الجبال والنجود على سطح الأرض ليكون معظمه ملائماً للحياة ؟ كلا ثم كلا ! بل إن هناك صانعاً منظماً عالماً أقام هذا النظام فى التوزيع ألا وهو الله سبحانه وتعالى ﴿ وفي الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٣١ - الحكمة فى توزيع الماء واليابس على صورتيهما الراهنة

إن ٧٢٪ من سطح الأرض مغمور بالماء من أبحر ومحيطات و ٢٨٪ منه يابس تتكون منه القارات ، وإذ كان الماء مصدر الرطوبة والمطر فبنتيجة تبخر الماء يحصل المطر . فلو كان الوضع معكوساً أى أن اليابس أكثر من الماء لتحول أكثر سطح الأرض من القارات إن لم يكن كله إلى صحراوات قاحلة لا نبت فيها ولما رأينا تلك المروج العشبية الخضراء ولا الأراضى الزراعية التى تنتج أنواع الحاصلات الغذائية ولا تلك الأراضى الغابية البهيجة ولا تلك الأنهار التى تمد الأرض بالمياه العذبة . فمهما كانت العوامل الطبيعية المؤثرة فى توزيع الماء واليابس من هذه الأرض فإن الذى نقر به أن خالقاً مدبراً حكيماً أوجد تلك العوامل فى سنن ثابتة لا تتبدل حتى تُصبح الأرض مهبط الحياة ﴿ وجَعلْنَا مِنَ الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ﴿ ولَنْ تَجِدَ لسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٦٢]

٣٢ – النظام الرائع فى توزيع اليابس والمائع

ومما يسترعى الانتباه ذلك النظام الرائع فى توزيع اليابسة والماء على سطح الأرض توزيعاً يمكن تلخيصه على الوجه التالى :

أولا : تجمع معظم اليابسة فى نصف الكرة الشمالى ومعظم الماء فى النصف الجنوبى .

ثانيا : أن القارات استدقت إلى الجنوب حيث انتهت برؤوس على شكل مثلثات قواعدها إلى الشمال وقد تقاربت هذه القواعد حتى كادت أن يتصل بعضها ببعض بينما تباعدت الرؤوس الجنوبية الواحد عن الآخر بواسطة المحيطات آلاف الأميال .

ثالثاً : وهو الأهم ...! أن كلا من القارات يقابلها فى الجهة المضادة بحر محيط ...! فهذه الظواهر الطبيعية الثلاثة لم يعللها العلماء تعليلاً علمياً بل لهم اعتبارات حدسية فى كيفية هذا التوزيع وذلك عن طريق دراستهم التغيرات التى طرأت على معالم سطح الأرض فى دهورها الواغلة فى القدم من جراء تقلصات القشرة الأرضية حيث هبطت منها جهة وارتفعت أخرى .

وهكذا حتى آلت القشرة الأرضية إلى ما هى عليه الآن ، ولكن مهما تكن الأسباب الطبيعية التى أدت إلى هذا التوزيع ، فالمتفق عليه أن هذه الأمور الثلاثة الآنفة الذكر جعلت الأرض فى توازن من شأنه أن يؤدى إلى استقرارها وهدوئها دون أن يعتريها اضطراب وميد .

انظر أيها القارئ الكريم .. إلى هذا النظام البديع وتأمل فيه أليس ذلك دليلاً على وجود إله حكيم ، عليم ، أبدع وأتقن كل شيء صنعا ﴿ وفى الأرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] ﴿ إنَّ في ذلِكَ لآيةً لِقَومٍ يَتفكَّرُون ﴾ [النمل : ٥٢]

٣٣ – النظام الرائع فى تصريف الرياح

إن العوامل الطبيعية فى تكوين الرياح وأنواعها وتأثيرات الرياح الخطيرة فى الحياة النباتية والحيوانية والبشرية لا تخفى على المتعلمين ونحن يكفى أن نذكر نواحى منها تدل على النظام الرائع فى تصريف الرياح ونتائجه الخطيرة لتكون عبرة بالغة لنا نستدل بها على وجود منظم عليم ، وتلك النواحى هى :

أولا : لولا الرياح لما كان المطر ..! إذ أن السحاب مكهرب من غير شك كما ثبت علمياً ونحن نعلم أن نوعى الكهربائية يتجاذبان والنوع الواحد يتدافعان أو يتنافران . ولكن الرياح تجمع النوعين بحيث يتجاذبان ويتقاربان حتى لا يكون مفر من اتحاد كهربائيتهما . والمطر نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتحاد والائتلاف الكهربائى . فالرياح إذاً ... هى العامل فى تلقيح وتزاوج الكهربائيتين المؤديتين إلى المطر ...!

ثانيا : لولا الرياح الموسمية التى تهب صيفا من المحيطات على بلاد المنطقة الحارة ومنها الهند مثلاً حيث خففت وطأة الحر فيها لكان من العسير جداً بقاء الحياة فى تلك المناطق .

ثالثا : لولا نسيم البر والبحر الذى يهب يوميا .. ليلاً ونهاراً .. وخاصة فى المنطقة الحارة لصعبت الحياة فى السواحل .

رابعا : إن الرياح الدائمة التى تهب على المناطق الباردة تخفف حدة البرد فيها كما أن الرياح الدائمة الباردة التى تهب على المناطق الحارة تخفف وطأة الحر فيها .

خامساً : إن اختلاف الرياح فى المواسم المختلفة ووجهة هبوبها أدت إلى اختلاف المطر كمية وموسما . ففى نواح من الأرض تمطر السماء صيفا فقط وفى نواح منها تمطر شتاء فقط وفى نواح منها تمطر على مدى السنة ، وكل ذلك بتأثير الرياح وهذا الاختلاف فى المطر أدى إلى تنوع النباتات والمزروعات

فى العالم ، ومن كل ذلك نعلم أن النظام الرائع فى اتجاهات الرياح وتصريفها ومواعيدها يدل على منظم حكيم عليم ﴿ وتَصْرِيف الرِّيَاح والسَّحابِ المُسخَّر بينَ السماءِ والأرضِ لآياتٍ لِقومٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقـرة : ١٦٤] ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرياحَ لَواقحَ فَأَنزلْنَا من السَمَاءِ ماءً فأسْقَيناكُموهُ ﴾ [الحجـر : ٢٢] .

٣٤ - خياشيم الأسماك كأنها مختبر كيميائى

إن الأبحر والمحيطات زاخرة بأحياء مائية كثيرة جداً لا تقع تحت الحصر ومنوعة تنوعاً مدهشا . ولكن العجيب والغريب فى ذلك أن تلك الأحياء جهزت بـ (خياشيم) تتمكن بها وهى فى الماء من أن تحلل الهواء الموجود فى الماء وتأخذ منه غاز الأكسجين فى نفسها وإلا لما كانت ...! فيالها من خياشيم خلقت فى حالة تجعلها قادرة على أن تحلل كيميائياً غاز الهواء المحلول فى الماء كأنها مختبرات كيميائية مجهزة بأدق الآلات ... فسبحان الخلاق العظيم الحكيم رب العالمين ﴿ وفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ .

٣٥ - الغرائب فى الأحياء المائية التى تعيش فى أعماق الأبحر السحيقة

يبلغ عمق المحيطات آلاف الأمتار ... وضوء الشمس لا يصل إلى عمق أكثر من(٤٠٠) متر منها . ومن الأسماك ما يعيش فى أعماق سحيقة جداً فى ظلام دامس فيأخذنا العجب والحيرة من كيفية تحمل هذه الحيوانات لذلك الضغط الهائل من الماء فى تلك الأعماق السحيقة ثم كيف ترى طريقها وهى فى هذه الظلمات ...! فالله سبحانه وتعالى خلق جسمها على حالة وشكل يجعلانها قادرة على أن تتحمل هذا الضغط العظيم ثم خلق لها مصابيح كهربائية فى جسمها تضىء طريقها إذا كانت مبصرة وخلق لها لوامس تتلمس بها طريقها إن كانت عمياء ، فسبحان الذى جعل لكل شىء قدراً وتقديراً ﴿ وفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ .

٣٦ - الحكمة فى شذوذ الماء فى تجمده وسيلانه

إن السنة العامة للأجسام أن تتمدد بالحرارة وتتقلص بالبرودة ، والماء خاضع لهذه السنة .. ولكن إلى حد محدود وقدر مقدور ، فهو ينقبض بالبرودة حتى تبلغ حرارته (٤) مئوية .. ثم يبدأ بعد ذلك يتمدد بالبرودة إلى الصفر وإلى ما تحت الصفر خلافاً للأجسام الأخرى . وهذا الشذوذ فى الماء له حكمة بالغة قدرها الله لإدامة الحياة فلولا هذا الشذوذ لصارت البحار والمحيطات فى المناطق الباردة على الأقل أرضاً من الجمد ، لا يكفى فى تسبيحها حرارات الفصول ، ولماتت الأحياء المائية كلها ، فهل وقع ذلك مصادفة فكان فى الماء ذلك الشذوذ الذى يتوقف عليه مصير المجموعات الحية ؟ كلا ...! بل إن الله ربنا وسعت رحمته كل شيء فجعل الماء خاضعاً لسنة التمدد إلى حد محدود ولا يتجاوزه ! ﴿ وفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٣٧ - الحكمة فى وجود التيارات المائية فى المحيطات

كثير من المتعلمين درسوا التيارات المائية فى المحيطات والأبحر والعوامل فى تكوينها فعلموا أن منها باردة تنبعث من المناطق القطبية الباردة ومنها حارة تنبعث من المناطق الاستوائية ومنها سطحية تجرى على سطح الماء ومنها سفلية تجرى تحت سطح الماء ولكن القليل منا من يعرف أنه ، لولا هذه التيارات لتعسرت الحياة على سطح الأرض وذلك لسبب المياه الراكدة الآسنة والروائح الكريهة المنبعثة من المحيطات والتى من شأنها أن تسمم الجو الهوائى مما يجعل الحياة فى هذا الجو الخانق مستحيلة . إذ أن التيارات المائية تجعل كل قطرة من الماء فى حركة مستمرة فتتبادل جزئيات الماء فيما بينها من حيث الملوحة والحرارة بصورة دائمة مما يمنعها من التعفن ... فضلاً عن فوائدها الجمة الأخرى كتأثيرها فى المناخ والحياة الاقتصادية .

تأمل أيها القارئ هذه الظاهرة الطبيعية المسيرة بقوانين مقدرة مضبوطة لا تحيد عنها فقدرها عليم ، حكيم .. ﴿ وفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٣٨ – دورة الماء فى الأرض المقدرة تقديرا محكما

إن نعمة الله على الناس فى الماء العذب أعظم من أن يقوموا بشكرها لأن كل ماء عذب فى الأرض كان أجاجاً فى الأصل إذ هو آت من ماء البحار .

إنك تعرف أن ربع الأرض يابس وثلاثة أرباعها ماء . وهذا الماء كله ماء مالح ومنه يقطر الله للإنسان ، والحيوان ، والنبات ، ما لا غنى لهم عنه من الماء العذب . أما جهاز التقطير فليس كمثله جهاز .

البحار كلها فى ذلك الجهاز دست ، لا يسخن من تحت كما يفعل الإنسان فى تقطيراته التافهة ، ولكن يسخن من فوق بنار هى (الشمس) التى يكبر حجمها بحجم الأرض بمئات الألوف من المرات ، فإذا تبخر الماء بحرارة الشمس تكثف فى مكثف ناهيك من مكثف ..! الجو العلوى كله والجبال والرياح مسخرة تحمل البخار من الأرض إلى الجو ، وتحمل السحاب فى الجو إلى حيث يشاء الله أن تنزل الأمطار – فإذا سالت الأودية وفاضت الأنهار وحملت الخصب والنماء إلى الأقطار تبخر بعض الماء وامتصت الأرض بعضه ، وصار باقيه إلى البحر الذى كان منه مصعده . وليس يغيب شيء من هذا الماء فما تمتصه الأرض فيتفجر فيما بعد عيونا حيث يشاء الله ، وما يتبخر من الماء العذب أو يصير إلى البحر فهو فى حرز حريز من الضياع ، إذ مآله أن يصير مرة أخرى ماء يحيا به الناس والأنعام ، وتحيا به الأرض الموات .

وهذا فرق آخر بين صنع الله ، وصنع الإنسان . فما يفلت إلى الجو من يد الإنسان أثناء تقطيراته فهو ضائع لا يملك الإنسان له استردادا . لكن ليس فى شيء من الماء أو غير الماء الصاعد إلى الجو ضائعاً فى ملك الله ، فالماء بين البحر والجو ، واليابسة فى دورة مقدرة متصلة لا انقطاع فيها ولا توقف ولا تعثر ، عليها مدار الحياة فى الأرض ولا تنتهى أبدا .... إلا أن يشاء الله ، الذى أذن لها بالابتداء ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بينَهُ ثُمَّ يجْعلُه رُكاماً فتَرَى الودقَ يخْرجُ مِنْ خِلَالِه ﴾ [النور : ٤٣] .

٣٩ – المرعى النباتى فى قيعان المحيطات

حار العلماء فى الماضى ... فى تعليل معيشة الأحياء المائية فى الأعماق السحيقة الظلماء فى المحيطات والأبحر من غير أن تكون ثمة نباتات تتغذى بها لأن النباتات لا تعيش إلا فى أعماق البحر الضحلة التى ينفذ إليها ضوء الشمس . ولكن بالبحث والاستقصاء ثبت أن مياه البحار التى نراها صافية رائقة تعج بملايين الكائنات الحية الدقيقة التى لا ترى بالعين المجردة ومنها ما يعرف باسم (الداياتوم) وهو من أصل نباتى إلا أن له زوائد شعرية دقيقة تمكنه من السباحة والانتقال من الماء من مكان إلى آخر . وإلى الآن لم يعرف السر فى قدرة هذه النباتات على التحرك وهى تعيش على سطح الماء ، وتستغل ضوء الشمس وحرارتها فى تحويل المادة المعدنية المذابة فى ماء البحر إلى غذاء صالح لنمو جسمها وهى تتكاثر بسرعة عظيمة . ومن مزاياها أنها تبنى حول جسمها قشرة زجاجية صلبة تكون وقاء لها ، وعند موتها تهبط من نفسها فى الماء ، فيتلقى قاع المحيط ملايين عديدة منها أشبه بالمطر الغزير الذى لا ينقطع ويصبح قاع المحيط بفضلها مرعى نباتياً خصباً تستقيم به الحياة فى أعماق البحار ، كما تستقيم على الأرض بمراعى الماشية وغيرها . فلولا ذلك لما كان فى الإمكان أن تعيش الأحياء المائية . أليس ذلك بدليل واضح على وجود خالق حكيم قدير دبر هذا العالم العجيب ..؟ ﴿ وفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٤٠ – الحكمة فى النسبة المعينة فى غازات الهواء

إن الغازات فى الهواء قدرت على نسبة معينة فلو زادت هذه النسبة أو قلت قليلاً عما هى عليه الآن ، لاختلفت موازين الحياة على وجه الأرض . فلو زاد غاز (ثانى أوكسيد الكربون) فى الهواء مثلاً ولو قليلاً جداً لازدادت حرارة الجو لدرجة لا تطاق ، كما أن الزيادة منه إلى حد معين تؤدى إلى الاختناق . ولو قلت نسبة الغاز المذكور عما هى عليه الآن لاضطربت

الحياةإذ أنه عنصر هام جداً فى الغذاء النباتى كما أن له أهمية مناخية فى الغلاف الهوائى ، وكذلك الغازات الأخرى فى الهواء فإنها إذا قلت أو زادت نسبتها عما هى عليه الآن ، اختل ميزان الحياة ، فهل كانت الطبيعة أو المصادفة قادرة على قياس هذه النسبة الدقيقة فى الغازات الهوائية لكى تتلاءم مع الحياة كلا ثم كلا ! لابد أن هناك عالماً حكيما قدر فدبر ألا وهو الله سبحانه وتعالى ﴿ سنُريهم آياتنَا فى الآفَاق .. ﴾ [السجدة : ٥٣] ﴿ وإنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ عنْ آيَاتِنَا لغَافِلُونَ ﴾ [يونس : ٩٢] .

٤١ - القوة العاتية التى تقيد الأشعة فوق البنفسجية

إن تأثيرات الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس معروفة علميا ، ونحن نعلم أنها تكفى وحدها ، لو تسربت إلى سطح الأرض للقضاء على الحياة فيها ولإحراق وإبادة كل حى على وجهها لولا غاز (الأوزون) . - على ندرته فى الهواء - الذى يعمل على امتصاص قسم كبير من هذه الأشعة القوية فى طبقات الجو العليا مما يجعل القسم الآخر الذى يتسرب إلى سطح الأرض يسيراً جداً لا خطر منه على الحياة بل إن وجود هذه الأشعة بمقدار قليل ضرورى جداً لحياة الإنسان ، والحيوان ، والنبات ! فما هذه القدرة المدهشة فى غاز (الأوزون) الذى يبتلع تلك الأشعة القوية العاتية بامتصاصه لها لإدامة الحياة على كوكب الأرض .

فيالها من قدرة خالقة فاطرة خلقت هذه القوى فأحكمت تقييدها وقدرتها كما أرادت بقوانين محكمة لا تحيد عنها : ﴿ ولَنْ تجدَ لسُنَّةِ اللهِ تبْديلاً ﴾ [الأحزاب : ٦٢] . ﴿ إنَّ هذهِ تذكِرةٌ فمن شاءَ اتَّخذَ إلَى ربِّه سَبِيلاً ﴾ [المزمل : ١٩] .

٤٢ - الحياة فى اندماج المميتين

إن التفكر فى خلق السموات والأرض ودراسة نظام هذا الكون يوصلاننا إلى حقائق نستدل بها على وجود الخالق المبدع ، لنأخذ مثلاً غاز

الأكسجين نجد أن المواد تحترق فيه بشدة وسرعة مروعتين ولكن غاز (النتروجين) فى الهواء مختلطاً به ، يضعف هذه الخاصية فى غاز الأوكسجين وتبقى له من القوة ما تكفى لقضاء مصالح عوالم الأحياء ومنها البشر ، ولولا ذلك لأكلت النار الأرض ولم تبق ولم تذر..! ثم إذا أخذنا الماء نجده مركباً من: (١) غاز الأوكسجين ومن: (٢) غاز الأيدروجين. على أن الأوكسجين وحده غاز محرق والأيدروجين وحده غاز مميت ، وهذا المحرق وهذا المميت إذا اتحدا تكون الماء الذى به حياة الأحياء . كل ذلك يدل دلالة قاطعة على وجود الخالق الحكيم .. ﴿ وفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٤٣ - نتائج التفريغ الكهربائى الخطيرة فى المطر

إن ماء المطر معروف بأنه ، أنقى المياه وأعذبها ، لكن طبيعة تكونه فى السحاب تعرضه لأن ينقلب أجاجا لا ينتفع به الإنسان ، إننا نعلم أن أربعة أخماس الهواء آزوت أو نتروجين ، والآزوت كما نعلم أيضاً لا يكاد يتحد فى العادة بشيء ولا بالأوكسجين الذى يكاد يتحد بكل شيء ، وعلماء الكيمياء وجدوا أنهم يستطيعون بالكهربائية أن يحولوا الآزوت غير الفعال إلى آزوت فعال يتحد بأشياء كثيرة فى درجة الحرارة العادية ، كما وجدوا أنهم يستطيعون أن يحملوا الآزوت على الاتحاد بالأكسجين بإمرار الشرر الكهربائى فى مخلوط منهما وفى هذا الاتحاد ينشأ أحد أكاسيد الآزوت قابل للذوبان فى الماء ، وإذا ذاب فيه اتحد به وكون حمضين آزوتيين أحدهما حمض الآزوتيك أو ماء النار ، كما كان يسميه القدماء وإليه يصير الحمض الثانى . وقليل من حمض الآزوتيك فى الماء كاف لإفساد طعمه ، وأظنك الآن بدأت تدرك الطريق الذى يمكن أن ينقلب به ماء المطر أجاجاً من غير خرق لأى سنة من سنن الله فهو نفس الطريق الكهربائى الذى يتكون به المطر وكل ما يقتضى لذلك أن يتعدل التفريغ الكهربائى ويتكرر فى الهواء تكرراً يتكون به مقدار كاف من تلك الحوامض (الأكاسيد) الآزوتية يذوب فى ماء السحاب ويحوله حمضياً لا يسيغه الناس ، فالله يكيف التفريغ بالصورة التى ينزل بها المطر ولا يؤج بها الماء ، إن شيئاً من ذينك الحمضين لابد أن ينزل فى ماء العواصف وهذا

ضرورى للحياة لأنه يتحول فى الأرض إلى الآزوتات الضرورية لحياة النبات . لكن الله برحمته وحكمته يقدر تكونه بحيث لا يتأذى به إنسان ولا حيوان ، ولو شاء الله لكثره فى ماء المطر فأفسدها على الناس ، وهذا هو موضع المن من الله على الناس فى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم الماءَ الذِى تَشْرَبُـونَ * أأنتُم أَنزَلْتُموهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نحنُ المُنْزِلون لو نَشَاءُ جَعلناهُ أُجَاجاً فَلولَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٨ - ٧٠] . إشارة إلى تلك العوامل الكهربائية التى يتكون بها المطر ويفهمها من يفقه تلك العوامل الكهربائية التى يتكون بها المطر ويفهمها من يفقه تلك الحقائق السابقة ومن يعرف أن الطريق الكهربائى هو أحد الطرق العملية التى يمكن بواسطتها تحويل الآزوت الجوى إلى حمض . فسبحان الذى قدر كل شىء تقديراً حكيما .. ﴿ وكَأَيٍّ مِنْ آيةٍ فى السمواتِ والأرْضِ يَمُرُّونَ علَيها وهُم عَنها مُعرِضُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥] .

٤٤ - المعجزة الخارقة فى اختلاف طول الليل والنهار

كلنا نعلم ما لاختلاف الليل والنهار واختلاف المواسم من أثر بليغ فى الحياة النباتية والحيوانية ، والبشرية ، لذلك جاءت بضع آيات كريمة فى القرآن المجيد ، تستلفت أنظار الناس وتسترعى انتباههم إلى اختلاف الليل والنهار ...

ومما هو جدير جداً ، بالاعتبار والاستبصار أن هذا الاختلاف فى الليل والنهار جاء فى الآيات الكريمة مقترنا بخلق السمٰوات والأرض وحتى بإحياء الموتى ، مما يدل على أن هذا اختلاف لا يقل شأناً وعظمة عن خلق السمٰوات والأرض ، وإحياء الموتى . والحقيقة التى لاشك فيها أنه لولا اختلاف الليل والنهار أى لولا قصر الليل والنهار وطولهما - لما اختلفت المواسم ولما تنوع المناخ ، ولو وقع ذلك لما تنوعت النباتات والحيوانات ، ولتعسرت الحياة على وجه الأرض ، ويعلم المثقفون أن عوامل ثلاثة مجتمعة أدت إلى هذا الاختلاف وهى ميل المحور الأرضى ، ودوران الأرض حول الشمس ، واتجاه المحور الثابت إلى نقطة معينة فى السماء ، ولكن العامل الأخير له السهم الأكبر فى هذا الاختلاف لأنه لو لم يكن اتجاه المحور ثابتاً وكان متغير الاتجاه لكان

يؤدى إلى موسم واحد أبدياً فى كل من نصفى الأرض ، بحيث تتعسر الحياة جداً ، فاتجاه المحور إلى حوالى النجم القطبى – دائماً – جعل عمودية الشمس تنتقل بين مدارى السرطان والجدى ، وهذا الانتقال فى العمودية أدى إلى اختلاف الحرارة فى البقاع ذات العروض المختلفة وإلى اختلاف الليل والنهار ، ونتيجة ذلك اختلفت المواسم فتنوعت ظروف الحياة .

تأمل أيها القارئ الكريم فى هذا الظاهرة الطبيعية ، إنها لآية باهرة لا يمكن أن تأتى بها قوة طبيعية لا إدراك لها ولا علم ، بل إن بصيرتنا تدعونا حتما إلى الإيمان بأن عليماً حكيماً قدر هذه الظاهرة الخطيرة وهو رب العالمين ، فاطر السموات والأرض ﴿ إنَّ فِي خلق السمٰوات والأرْضِ واختِلافِ الَّليلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأُولِى الألْبَابِ ... ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

وفضلاً عن ذلك أنه لو كان المحور غير متجه فى ميلانه المحدد إلى تلك الناحية – دائماً – بل يغير اتجاهه بين حين وآخر ، فى أثناء السنة مسايراً انتقال الأرض حول الشمس كما بيناه آنفاً ، لكان النهار أو الليل سرمدا فى إحدى المنطقتين الباردتين الشمالية والجنوبية ، وأشارت الآية الكريمة إلى هذه الظاهرة الطبيعية الفذة فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أرَأَيْتُم إنْ جعلَ اللهُ عَليكُمُ الَّليْلَ سرْمداً إلَى يومِ القِيَامةِ مَنْ إلٰهٌ غيرُ اللهِ يأْتِيكُمْ بضياءٍ أفَلَا تسْمعُونَ * قلْ أرأَيْتُم إنْ جعلَ اللهُ عَليْكُمُ النهارَ سرْمَدًا إلَى يومِ القِيَامةِ مَنْ إلٰهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُم بلَيلٍ تسْكُنُونَ فيهِ ، أفلَا تُبْصِرُونَ * ومِن رحْمتِهِ جعلَ اللَّيلَ والنهارَ لتَسكُنُوا فيهِ ولتَبتَغُوا مِنْ فضْلِهِ ولعلَّكُم تَشْكُرونَ ﴾ [القصص : ٧١ – ٧٣] .

وهذا ما بيناه فى كتابنا (بصائر جغرافية) بعنوان (نهار وليل سرمدان) . فى ظاهرة أخرى طبيعية تتعلق بكواكب السيار شقيق الأرض (عطارد) إذ أنه فى نصف منه ليل سرمد والنصف الآخر نهار سرمد لكون دورته حول نفسه تساوى دورته حول الأرض ، فيمنُّ الله علينا بقوله تعالى المشار إليه ليكون عبرة بالغة لنا ..!

٤٥ – العناية الربانية فى تكييف النباتات

إذا لاحظنا ملاحظة دقيقة فى دراستنا علم النبات لاعتقدنا جازمين بأن العناية الإلٰهية قد شملتها بما يقيها من الأخطار وقت الحاجة ، فمنها إذا اشتد الحر عليها تغطى ثغورها وفتحاتها بمادة شمعية تمتد عليها فتمنع الحر عنها وتبقى كذلك إلى أن يعود فصل المطر ، ومنها ما تغطى بقشور من (كربونات الكالسيوم) تمنع عنها شدة الحر ، ومنها ما تحفظ الماء فى بصلها ودرناتها المدفونة تحت الأرض كما تخزن الجمال الماء فى موضع خاص فى أجوافها لوقت الحاجة ، ومنها ما تكون ذات أغصان واسعة عريضة جداً إذا كانت تنمو فى منطقة استوائية ؛ حيث الحرارة والتبخر شديدان ؛ وحيث المطردائمى لكى تستطيع النبتة التخلص من المياه الكثيرة عن طريق النتح ، ومنها ما ترسل جذورها عميقة فى التربة إذا كانت فى منطقة صحراوية شديدة الحرارة والجفاف ، لتستطيع أن تصل إلى المياه الباطنية من الأرض لكى تعيش فى الظروف الصحراوية كما تخزن هذه النباتات الصحراوية المياه فى جذورها أو سيقانها ، لوقت الحاجة ، كما بيناه آنفاً ، وهى تجعل أوراقها مدورة وصغيرة ذات سطح سميك ومدببة أحياناً وتأخذ الورقة وضعاً رأسياً بالنسبة لأشعة الشمس بدلاً من الوضع الأفقى لكى لا تتعرض للشمس كثيراً فيزداد التبخر منها كأشجار الكافور ، كما أن أشجار الفلين التى تنمو فى إقليم البحر المتوسط تغلف بمادة الفلين المعروفة لتحميها من الصيف وجفافه ، ومنها ما تكون أوراقها خيطية إبرية وأشجارها على شكل مخروطى لوقايتها من البرد القارس فى المناطق الباردة ، كل ذلك يدل دلالة قطعية على وجود خالق عليم خلق فسوى ثم قدر فهدى ﴿ وفِى الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٤٦ – العناية الربانية فى تكييف الحيوانات

إن كل متعلم درس الجغرافية ، يعرف كيفية توزيع الحيوانات على سطح الأرض وكيف اختصت كل منطقة مناخية بحيوانات لا توجد

فى غيرها ، فتعيش الفيلة مثلاً : فى المناطق الحارة دون غيرها ويعيش الدب الأبيض مثلاً فى المناطق القطبية دون غيرها . وكل من الحيوانات الموزعة على المناطق المناخية قد كيفتها البيئة الطبيعية أى أن الجسم الحى يتكيف فى تركيبه ووظائفه وعاداته لعوامل المحيط ليحتفظ بكيانه كما هو حال النباتات فى الفقرة (٤٥) الآنفة الذكر ، ويمكن للقارئ أن يطلع على ذلك بدراسته علم الحيوان وكيفية توزيعه وملاءمته للمحيط ليقف على المدهشات المحيرات فى ذلك ، وهنا يكفى أن نذكر للعبرة مثالاً واحداً – فقط – لتلك الظاهرة العجيبة من الحيوانات وهو (الدب الأبيض) الذى يعدو بسرعة على الجليد ويتسلق أكوامه العالية ومن دواعى الدهشة أن مثل هذا الحيوان الكبير الجسم الثقيل الوزن يتحرك بخفة فوق الجليد الأملس ، دون أن ينزلق ويرجع السبب فى ذلك إلى أن باطن قدمه العريضة مزود بخصلة من الشعر الطويل الخشن الذى يثبتها فوق الجليد ويمنع انزلاقها كما أنه زود بفرو كثيف يكسو جلده فضلاً عن طبقة شحمية سميكة تحت جلده ليقياه من البرد القارس ، على أن الدب الأسمر الذى يعيش فى المنطقة المعتدلة لم يزود بما زود به الدب الأبيض فليس للدب الأسمر الخصلة الشعرية ولا الفرو الكثيف جداً ولا الطبقة الشحمية المفرطة لأنه لا يحتاج إلى كل ذلك .

فما هو العامل الذى قدر فدبر للحالتين ما يلائم البيئتين ..؟ اعتاد العلماء والمتعلمون أن يعزوا مثل هذه الظاهرة العجيبة فى الحيوانات إلى الطبيعة قائلين إن الطبيعة قد جعلت فى الحيوانات هذه القدرة الخارقة فى أن تكيف حياتها نظراً إلى البيئة التى تعيش فيها لتحتفظ بكيانها ، فهل الطبيعة الصماء العمياء زودت باطن قدم الدب الأبيض بخصلة من الشعر الطويل الخشن الذى يثبتها فوق الجليد ويمنع انزلاقها .

كما زودته بفرو سميك يقيه شر البرد القارس لولاهما لما كان فى الإمكان أن يعيش الدب الأبيض فى تلك المنطقة .

إنه لمنطق غريب ... وفكر سقيم يتهرب من الإيمان بوجود خالق مبدع ولكنه يستسلم للوهم فيخلع على الصدفة تنظيم هذه العوالم الحية والجامدة ،

ذلك التنظيم القويم فيا له من رأى مفلوج . ﴿ أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . ﴿ وفى الأَرْضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٤٧ – الغريزة وما أدراك ما الغريزة

إن الحيوانات على اختلاف أجناسها تقوم بعد ولادتها ، بدقائق ، وتدرج وتشم الأطراف حتى تصل إلى حضن أمهاتها ، ثم تجد وتكد حتى تجد أثداء أمهاتها وترضع ألبانها بتحريك شفاهها بأصعب الحركات التى قد تصدر منها فى طول حياتها على هذا النحو وتتناول غذاءها وكل ما تناله حين تولدها من المعونة المادية هى لحس أمهاتها لها ، ولا يتصور أن أمهاتها قد علمتها فى آذانها ما ينبغى لها أن تفعله لأن كلا منهما عاجز عن إفهام هذه الحركات الدقيقة حتى بعد أن يكبر أيضاً ، والجنين منذ نشأته فى رحم أمه لا يقدر على القيام على أرجله ، ولا يتناول غذاءه بفمه بل بسرته ، فمن ذا الذى علم هذا الحيوان كل ذلك ؟ .

إن القول بأن الغريزة (الحس الطبيعى) تفعل ، هذا ليس إلا كلاماً مجرداً عادياً لا قيمة له فإن اعتبار الغريزة أساساً للحياة يعادل فى غرابته استكناه أسرار الخليقة وسلسلة الأسباب لا فى مبدئها بل فى وسطها لأن الغريزة أمر حادث يحتم عطفها على علة متقدمة ، فلابد إذاً ، من الاعتراف بأن نفحة من نفحات القدرة لمسبب الأسباب وحكمته . هى التى أوجدت غريزة الحياة ...!

﴿ الَّذِى خَلَقَ فَسوَّى * والَّذِى قَدَّرَ فهدَى ﴾ [الأعلى : ٢ ، ٣] .

٤٨ – غرائب الغرائز فى الحشرات

إن للحيوانات عامة والحشرات خاصة غرائز تدفعها إلى أعقد الأعمال بخفة ومهارة ودقة لا نظير لها بغير تدريب عليها أو سابق خبرة بها ، فللعناكب مثلاً غرائز تثير الدهشة ويعجز العلم عن كشف العوامل التى أوحت بها إلى هذه المخلوقات الصغيرة ، فالعنكبوت أول من ابتكر فخاً يصيد به فريسته ،

وهو تلك الشبكة العجيبة التى يصنعها من خيوط حريرية يغزلها بنفسه ويقيمها بشكل هندسى متقن . وهو أول من اجتاز نهراً أو هاوية عميقة بقنطرة صناعية كونها من خيط طويل غزله بنفسه فأوصل جانبى الهوة أو النهر بتأثير الرياح فينزلق فوقه بسرعة كبيرة . وهو أول من ابتدع فكرة السفينة بهذا الرمث الذى يجمعه من أوراق الشجر ويثبته بخيوط حريرية ويلقيه فى الماء ليحمله وما معه من مؤنة لا يستطيع حملها وحده . وهو الذى ابتكر الخنادق المحفورة فى جوف الأرض وحصنها بأبواب متينة وزودها بوسائل الفرار والنجاة من الخطر ..

وهكذا ، إذا لاحظنا الحشرات الأخرى ، هالنا أمرها ، ومنها النمل ، ونحل العسل مثلاً وما تأتيه من أعمال منظمة عجيبة رائعة تدل على مهارة خارقة تحير أولى الألباب ..! ألا فلنحن الرأس خاشعين للقدرة العظيمة الخارقة التى وهبت هذه المخلوقات الضعيفة غرائز لا تدرك كنهها العقول ﴿الَّذِى خَلقَّ فسوَّى . والَّذِى قدَّرَ فهدَى﴾ [الأعلى : ٢ ، ٣] .

٤٩ – غريزة الادخار المحيرة للعقول فى الحشرات

إن غريزة الادخار عند بعض الحشرات خاصة عجيبة فهناك نوع من النمل يتبع فى ادخاره طريقة يقف أمامها العقل البشرى حائراً مبهوتاً ، فهو يحمل الحبوب إلى مسكنه تحت الأرض وإذا تركت هناك فى الرطوبة والدفء مدة من الزمن فإنها لا تلبث أن تنبت ولكن يمنع استنباتها بوسيلة خفية غير معروفة ! ويعيق نموها بدون أن تموت أو يصيبها تلف وبعد مضى بضعة أسابيع يسمح لها بالإنبات فتنمو ويظهر لها جذر وساق صغيران وهذا النمو يستلزم تحول جزء من النشاء والزلال إلى مادة حلوة سكرية وبعد أن يستمر النمو مدة من الزمن يقطع النمل السيقان والجذور ليمنع النمو ويحمل البذور خارج مسكنها ويعرضها للشمس لتجف ثم يعود بها إلى مخزنه وقد أصبحت مادة حلوة يتمتع بها وقت الشتاء .

ويوجد نوع آخر من النمل يقطع أوراق النباتات إلى أجزاء صغيرة مستديرة ويحملها إلى بيته ويعالجها بطريقة لم يكشف سرها إلى الآن ، ويتركها

فى مكان رطب فتصبح مزرعة صالحة لنمو الفطريات التى يستعين بها النمل فى غذائه ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

٥٠ – غرائز بعض الطيور المحيرة

إن بعض الطيور يحفر له وكراً على جانب النهر لأنه يصطاد الأسماك ويتغذى بها ويحفر الوكر بامتداد أربعة أقدام منتهياً بفجوة واسعة يضع فيها بيضه ويربى صغاره . ومن غريب أمر هذا الطير أن يجعل الحفرة مائلة بارتفاع إلى أعلى ، حتى إذا زاد النهر لم يصل إلى الفجوة المحتوية على البيض لأن ضغط الهـواء فيها يمنعه من ذلك .. وهذا بعكس ما يحدث لو كانت الحفرة مائلة إلى أسفل إذ يهبط الماء فى الحفرة . ويغمرها بما فيها ! وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل من أوحى إلى هذا الطائر الصغير بفكرة الضغط الجوى وتطبيقها للمحافظة على كيانه ، تلك الفكرة التى لم يكتشف سرها الإنسان إلا فى القرن السابع عشر ؟ ويجيب العلماء عن هذا السؤال بأن الغريزة هى العامل الفعال الذى يستجيب هذا المخلوق لإيحائه ، وهو جواب ناقص لا يعتبر تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة العجيبة وسيظل السائل فى حيرة من أمره مهما كرت السنون وتوالت الأجيال !! ومن الذى وهبه تلك الغريزة ؟! وهبه إياها العليم الحكيم الحى القيوم ﴿ الذى خلَق فسوَّى والذِى قدَّرَ فهدَى ﴾ [الأعلى : ٢ ، ٣] .

٥١ – مدهشات هجرة الطيور

إن فى عالم الحيوان طائراً يدعى « صقر البحر » لا يحب البرد القارص ولا الحر اللافح ويميل إلى الجو المعتدل ، والشتاء فى المنطقة الشمالية يقابل الصيف فى المنطقة الجنوبية فعندما يكون الشمال مهدداً بالشتاء يكون الجنوب متمتعاً بحرارة معتدلة . وعندما يقبل الشتاء على الجنوب يكون الشمال معتدلاً . فصقر البحر بهجرته من الشمال ثم عودته إلى موطنه يتمتع بالجو المعتدل الذى يلائم طبيعته فى طرفى العالم ويقطع الطير فى رحلته هذه مسافات شاسعة لا تقل عن اثنى عشر ألف ميل فى الذهاب ومثلها فى الإياب ، ويكاد العقل ينكر قدرة هذا الطائر الصغير على اجتياز هذه الأبعاد العظيمة . وهناك

طائر آخر يسمى « خطاف البحر » أصغر من صقر البحر ولكنه أقوى منه على الطيران يسكن فى المنطقة المتجمدة الشمالية ويربى فيها صغاره ، وعندما تحل ليالى الشتاء الطويل يعبر الكرة الأرضية على جناحه ويصل إلى المنطقة المتجمدة الجنوبية ليتمتع بصيفها ، ثم يدعوه الحنين إلى موطنه فيهرول مسرعاً إليه وهو يقطع فى هذه الرحلة نحو عشرين ألف ميل فى الذهاب والإياب طائراً بسرعة تعجز عنها أقوى الطائرات التى ابتكرها عقل الإنسان ! ومن غريب أمر هذه الطيور أنها لا تحتاج إلى مرشد يهديها إلى السبيل الذى تسلكه فى الذهاب والإياب فالغريزة وحدها هى دليلها الذى لا يخطئ وقائدها الحكيم الذى لا يغفل .. ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إلى الطَّيْرِ فوقَهُم صافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ما يُمسِكُهُنَّ إلَّا الرحْمٰنُ إنَّهُ بكُلِّ شيءٍ بصيرٌ ﴾ [المُلك : ١٩] .

٥٢ - النظام الرائع فى سرب الطيور الطائرة

إن الكلام عن غرائز الحيوانات والحشرات والطيور لا ينقضى ولا ينتهى . ولكن يكفى أن نذكر ظاهرة عجيبة تحير العقول وهى منظر سرب من الطيور وهو يحلّق بأجنحته فى السماء ، منظر يعد من أجمل المشاهد الطبيعية وأنظمها ! فسرب « الزرزور » مثلاً يسير وراء قائده كأنه فرقة مدربة من الجند لا يشذ فرد منها عن النظام ! فكلها تسير بسرعة واحدة وترتفع ثم تنخفض بتوافق لا تشذ فيه ، وتدور وتلف فى الفضاء دون أن يخرج أحدها من مكانه بالنسبة للآخرين حتى ليتوهم الناظر أن السرب كله مسير بعقل واحد يصدر أمره فيتحرك الجميع حركات مؤتلفة منتظمة كأنهم جسم واحد .. ﴿ أوَ لَمْ يرَوْا إلى الطير فوقَهُم صافَّاتٍ ويَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إلَّا الرحمٰنْ إنَّهُ بكلِّ شيءٍ بصيرٌ ﴾ [المُلك : ١٩] .

﴿ ومَا مِنْ دَابةٍ فى الأرض ولا طائر يطير بجنَاحَيْهِ إلا أُممٌ أَمثَالُكُمَ ﴾ .
[الأنعام : ٣٨]

٥٣ - الترابط العجيب بين أجزاء العالم

إن بين أجزاء العالم على اختلاف مظاهره ، وكثرة أنواع موجوداته ترابطاً عجيباً وثيق الصلة بينها ، فكأن العالم جسم واحد تماسك أجزاؤه بعضها ببعض فكل شيء فى الوجود له علاقة بالأشياء الأخرى ، كجسم الإنسان إذا اعتل عضو منه اضطربت حياته واختل نظامه ، بل ربما قضى نحبه . فنستطيع القول ، مثلاً إنه لولا ريش الطائر لما عاش على الأرض إنسان أو حيوان !

لأن الريش هو الكساء الذى يغطى جسم الطائر ويصونه من حر الصيف وبرد الشتاء ،ولولاه.. لهلك الطائر وزال أهم عامل طبيعى يعوق نمو الحشرات ، فتنتشر بشكل مروع وتحصد الزرع وتأكل الخضرة وتموت الحيوانات أكلة العشب ثم تموت الحيوانات أكلة اللحوم وتصبح الأرض قفرا مقفرا لا دبيب للحياة عليها . وفى الطبيعة توازن عجيب بين الحشرات والطيور ، فالأولى تظهر فى أواخر الربيع من بيضة فى العالم السابق أو من شرنقة كانت تضمها فى الشتاء ، وفى الوقت نفسه الذى تكثر فيه الحشرات تكون صغار الطيور قد خرجت من بيضها واحتاجت إلى الغذاء ، فيجمع لها أبواها الحشرات بمقادير كبيرة من مطلع الشمس إلى مغربها فينقص عدد الحشرات نقصاً بالغاً ، ولولا ذلك لأصبحت وباء يعجز الإنسان عن مكافحته ، وفى الجناح قدرة خفية لا يعرف مصدرها فالقطار مثلاً يقطع المسافات الشاسعة بقوة البخار الدافعة ، ولكن جناح الطير تحمله مئات الأميال بدون أن يستمد طاقة من الخارج .. !! ﴿ الذى خلَق فسوَّى * والذى قدَّر فهدَى ﴾ [الأعلى : ٢ و ٣] .

٥٤ - أسرار نمو النباتات والحيوانات

إن نمو النباتات والحيوانات وخاصة الفتية منها لمدهش عجيب ..! حار العلماء فيه ، فأى عامل يجعل النبات والحيوان ينموان نمواً يؤدى إلى ازدياد حجمها طولاً وسمكاً بصورة تدريجية ، فيقول العلماء : إن نمو الأجسام الحية

يعود إلى تداخل جزئيات جديدة بين الجزئيات القديمة فيها ، ويقولون : إن الجسم الحى يستطيع أن يكون فى داخله مواد معقدة تشبه المواد التى يتركب منها جسمه وبذلك يتم نموه ويكبر حجمه ، ولكنهم يجهلون حتى الآن كيف يستطيع الجسم الحى أن يكون هذه المواد المعقدة ، فلابد أن هناك قوة كامنة لا نعرف كنهها تدفعه إلى هذا النمو وإن الله رب العالمين هو الذى خلقها ﴿ الذِى خَلَق فسوَّى * والذِى قدَّرَ فهدَى ﴾ [الأعلى : ٢ ، ٣] .

٥٥ – المعجزة الخارقة فى النباتات فى عمليات التأليف الكيماوى

إن الإنسان – برغم ما وصل إليه من التقدم العظيم فى عمليات التأليف الكيماوى ، وبرغم المعامل والأجهزة الحديثة التى أصبحت فى متناول يده – لا يزال فى المهد بالنسبة إلى تحضير المركبات التى تنتجها لنا الطبيعة ..! فإن أبسط الحشائش وأقل النباتات الصغيرة شأناً تفوق الإنسان عشرات المرات فى قدرتها على تحضير المركبات العضوية والغذائية المعقدة من الأملاح المعدنية البسيطة التى تمتصها من التربة ..!! ﴿ الذِى خلقَ فسوَّى * والذِى قدَّر فهدَى ﴾ ﴿ إنَّ فِي ذلِكَ لآيةً لِقوْمٍ يَعقِلُونَ ﴾ [النحل : ٦٧] .

٥٦ – الغازات الهوائية واقية للأرض

لو كان جو الأرض ، أى الهواء ، أرق مما هو لتعرض سطح الأرض لقصف جوى يومياً من ملايين الأحجار السماوية ، والنيازك ، فاضطرمت النيران على سطح الأرض بدلاً من أن تحترق وتذوب فى الجو كما يحدث الآن بفضل الغازات الهوائية التى جعلها الله واقية للأرض ، فالهواء إذاً بمجموعه وخاصة غاز الآزوت منه يكون وقاء عاماً للأرض من هذه الرجوم السماوية ، فضلاً عن أن كل غاز من هذه الغازات الهوائية له وظائفه الخاصة به التى لا تقوم الحياة بدونها . فانظر إلى تقدير الحكيم العليم ﴿ وجعَلْنَا السماءَ سقْفاً محفُوظاً وهُمْ عنْ آياتِنَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢] ﴿ سنُرِيهِم آياتِنا فى الآفاقِ ﴾ [فُصِّلت : ٥٣] .

٥٧ - الحكمة فى اختلاط غازات الهواء دون امتزاجها

إن الهواء مكون من غازات يختلف كل غاز منها عن الآخر من حيث خواصه ووظائفه . ولكن الذى يسترعى انتباهنا فى هذه الغازات كونها مختلطة اختلاطاً ميكانيكيا ولم تمتزج مزجاً كيمائياً ، فلو امتزجت مزجاً كيمائياً لتحولت إلى غاز واحد ليس له من المظاهر ما يجعله صالحاً للحياة كما هى حال الغازات المختلطة الآن التى لا تتفاعل بعضها مع بعض ولا يؤثر وجود واحد منها فى ميزات الآخر وخواصه بل إن كلا منها يحتفظ بكيانه مستقلاً كأنه لا وجود للعناصر الأخرى .

فلنأخذ غاز الآزوت من الهواء مثلاً ، إنه لا يمتزج بغيره مزجا كيميائياً إلا بظروف ملائمة فيتحد فى مثل هذه الظروف بغاز الأوكسجين مكوناً ما يسمونه (بحامض الآزوتيك) أو النتريك (وهو ما يعرف بماء الفضة) وهو أقوى الحوامض وأخطرها . فلو امتزج الآزوت بالأكسجين لا قدر الله - امتزاجاً كيميائياً فى سهولة ويسر وبلا واسطة لاستحالا فى الجو حامضاً فتاكاً ولأمطرا (ماء الفضة) شواظاً من نار يحرق الأرض وما عليها .

تأمل رحمة الله الذى قدر كل شيء تقديراً ﴿ سَنُرِيهِم آياتِنا فى الآفَاقِ ﴾ [فصلت : ٥٣] . ﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لقَومٍ يُؤمِنُونَ ﴾ .

[النمل : ٨٦]

٥٨ - القوة العاتية التى تقيد الضغط الهوائى الهائل

إن للهواء ثقلاً أو ضغطاً ومقدار ثقله أو ضغطه على كل سنتمتر مربع من سطح الأرض عند سطح البحر ما ينيف على الكيلو غرام (أى أوقية بغدادية) وعلى جسم الإنسان المعتدل القامة (١٤) طناً . غير أن هذا الضغط الجبار على سطح الأرض تحكمه قوة تعادله تماماً هى قوة الحرارة ، حتى إنه مع ثقله العظيم هذا لا يقصف أضعف الأغصان ولا يقطع أدق الخيوط .

فيالها من حكمة خالق مبدع خلق هذه القوة العاتية وقيدها بهذا القدر من الإحكام والدقة . فسبحان الله العلى العظيم الذى جعل لكل شيء تقديراً ﴿ وفِي الأَرضِ آياتٌ لِلْمُوقِنينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

٥٩ - الحكمة البالغة فى تعيين بعد الشمس عن الأرض

إن الشمس على بعد معين من الأرض ، فهذا البعد جعل حرارتها (نارها الخالدة) كافية لنا لا تزيد ولا تنقص عما تحتاج إليه ، فلو كانت أبعد مما هى عليه الآن لضربنا الجمد ولما كانت حياة على وجه الأرض ، ولو كانت أقرب مما هى عليه الآن لأنضجت الحرارة جلودنا ولما بقيت حياة على سطح الأرض ، فهل هناك قوة طبيعية ظهرت صدفة وليس لها علم وإدراك ؟ قدرت هذا البعد الصالح للحياة ؟ كلا .. ثم كلا !

فلابد من عليم حكيم قادر قدر هذا البعد ليألف مع الحياة ﴿ سنُرِيهِمْ آياتِنا فى الآفاق ... ﴾ [فُصلت : ٥٣] .

٦٠ - الحكمة البالغة فى تعيين بعد القمر عن الأرض

إن القمر على بعد معين أيضاً من الأرض ، فلو كان أقرب مما هو عليه الآن لبلغت الموجة المدية مبلغاً هائلاً تكفى معه أن تغمر القارات حتى مرتفعاتها بمياه المحيطات كل يوم مرتين ، أى لكان طوفان عام يتناول سطح اليابس مرتين من كل يوم ولقضى على الحرث والنسل .. ولو كان القمر أبعد مما هو عليه الآن لما حصل المد والجذر المعتدلان اللذان لهما فوائد صحية وتجارية وزراعية وحتى صناعية ولما تمتعت الأرض بنوره الفتان . وكذلك لو كانت كتلة القمر على بعده الراهن أصغر أو أكبر مما هو عليه الآن لما حصلت الظواهر المذكورة آنفاً من حيث عدم وجود المد أو طغيانه . فهل المصادفة والنظام التلقائى هما اللذان وضعا هذه الموازنة المتقابلة لهذا البعد وهذه الكتلة كلا ! إن الله سبحانه وتعالى قدر ذلك بعلمه وحكمته ، ﴿ سنُرِيهِم آياتِنا فى الآفاق ... ﴾ ﴿ ومن آياتِه اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقمرُ ﴾ .

[فصلت : ٣٧] .

٦١ – الحكمة البالغة فى تقدير سرعة الأرض

إن سرعة الأرض فى دورتها اليومية حول محورها تبلغ ألف ميل فى الساعة عند خط الاستواء . فلو كانت سرعة دورانها (١٠٠ ميل) فى الساعة لكان طول الليل والنهار عشرة أضعاف طولهما الآن ولاستطاعت حرارة الشمس أن تحرق نباتنا فى النهار الطويل وكذلك لتجمد فى الليل الطويل كل نبت بقى بعد ذلك حياً . وإن حكمة البارىء المدبر الحكيم المقدر هى التى سيرت هذه العوالم ﴿ سَنُرِيهِم آياتِنا فى الآفاقِ ... ﴾ [فصلت : ٥٣] ﴿ يُغْشى اللَّيلَ النهارَ يطلُبُهُ حثِيثاً ... ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

٦٢ – الحكمة البالغة فى تقدير درجة ميل المحور الأرضى

إن ميل محور الأرض يبلغ ٢٣,٥° درجة ، فلو كان المحور غير مائل بل عمودياً على مستوى مدارها كما فى بعض الكواكب السيارة الأخرى لكانت الشمس بوضعها العمودى لا تنفك عن خط الاستواء ، أى لكانت الشمس تقع فوق الرءوس وقت الزوال عند خط الاستواء دائما على مدى السنة دون أن تنتقل عموديتها بين المدارين كما هى عليه الآن . ومن جراء ذلك يمتنع حدود الفصول الأربعة فى المنطقة المعتدلة وتعسر الحياة فى المنطقة الحارة لشدة حرارتها وتتحول المناطق المعتدلة إلى مناطق باردة غالباً وتكون منها قارات من الجمد وتصبح المنطقة الباردة زمهريراً لا يطاق . فكيف كان المحور مائلاً بهذه النسبة لتتوافر الحياة على سطح الأرض ؟! إن ربك هو أعلم بهذا النظام المتقن ﴿ سَنُرِيهِم آياتِنا فى الآفَاقِ ﴾ ﴿ أَوَ لَمْ ينْظُرُوا فى ملكوتِ السمٰواتِ والأرضِ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

٦٣ – آيات الله فى الخلق من حيث التغذية

من آيات الله فى الخلق أن النبات لا يتغذى بما يتغذى به الحيوان وإن الحيوان لا يتغذى بما يتغذى به النبات . فالنبات يتغذى بمواد بسيطة

التركيب نسبياً كالماء وثانى أوكسيد الكاربون الناتج من احتراق المواد العضوية أو تعفنها وكالأملاح الموجودة فى الأرض سواء أكان مصدرها التعفن أم غيره وكالأكسجين الموجود فى الهواء . أما الحيوان فيتغذى بالنبات أو بما ينتجه النبات ، ولا يستطيع النبات على العموم أن يتغذى بنبات مثله ولا من باب أولى بحيوان بل لابد من تحلل الحيوان أو النبات الميت تحللاً تامًّا بالتعفن قبل أن يستطيع النبات أن يتغذى به ، أى أن النبات يتغذى بنواتج تعفن النبات أو الحيوان لا به . ومن الناحية الأخرى لا يستطيع الحيوان أن يتغذى بنواتج التعفن هذه من ماء وثانى أكسيد الكربون وأملاح إلا إذا ركبها النبات مرة أخرى وحولها إلى أغذية نباتية . فالجراثيم تتغذى ببعض الجسم الميت أثناء تعفنه والنبات يتغذى بنواتج التعفين هذه ، والحيوان يتغذى بالنبات ، وإذا مات أو مات النبات تغذت به الجراثيم ، سلسلة متصلة من ظواهر الحياة والموت بعضها ضرورى لبعض ، أدناها ضرورى لأعلاها ، فلو انعدمت حلقة حياة الجراثيم لانعدمت حياة النبات بعد أجل تكدس فيه أموات الحيوانات والنباتات فى الأرض وتنجس فى تلك الأموات جميع العناصر اللازمة لحياة النبات ، كأنما أغلق عليها بقفل ضاع مفتاحه وما مفتاحه إلا تلك الجراثيم ، وإذا انعدمت حياة النبات فستنعدم بالتدريج حياة الحيوان التى تقوم فى صميمها على منتجات النبات ! أليس ذلك بدليل قاطع على خالق عليم حكيم قدرَ فدبر ﴿ وفِي الأرضِ آياتٌ لِلمُوقِنينَ ﴾ ﴿ إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لهُ قلبٌ أو ألقى السمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

٦٤ – العبرة البالغة فى قانون القصور الذاتى

(القصور الذاتى) هو اسم غريب . لكن معناه بسيط وهو أن كل جسم ساكن لا يتحرك إلا بقوة تحركه وكل جسم متحرك لا تتغير حركته إلا بقوة تغيرها ، أو بتعبير أوضح : إن الجسم يظل على حركته من السكون أو الحركة ما لم تؤثر فيه قوة تخرجه عن حالته .

فلو أن جسماً كان ساكناً ولم تؤثر فيه قوة تحركه لظل ساكناً أبد الدهر ، ولو أن جسماً ، كان متحركاً بسرعة ما ولم تؤثر فيه قوة تنقص

سرعته أو تزيد فيها أو تغير من اتجاهها لظل متحركاً بالسرعة نفسها وفى الاتجاه نفسه أبد الدهر كذلك !

وإحداث الحركة الدائمة مستحيل على الإنسان ، وقد أجمع العلماء على ذلك بحيث أصبح من مسلمات العلم البدهيّة، لأن أحداث الحركة الدائمة يحتاج إلى التغلب الدائم على المقاومات المحيطة وهذا يحتاج إلى طاقة دائمة متجددة ، والإنسان عاجز عن إحداث هذه الطاقة التى لا تنفد ..!

لكن الحركة الدائمة وإن عجز عنها الإنسان موجودة بالفعل فى الكون فى حركة جزئيات الهواء الساكن مثلاً وفى سطح البحر وفى حركة الكواكب والسيارات ومنها الأرض !

ووجود الحركة الدائمة بالفعل فى الكون مع عجز الناس أجمعين عنها من أعظم الأدلة وأدقها على وجود خالق قادر يسير الكون !

﴿ أَوَ لَم يَنْظُروا فِي مَلَكوتِ السمٰوٰتِ والأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

٦٥ – سر الحياة الغامض

لم يتمكن العلم ولن يتمكن من أن يعرف سر الحياة ، ولكن الإنسان يشاهد أثرها فى هذه الدنيا ، فالحياة النباتية مثلاً تتوقف على التربة والماء والهواء والحرارة والضوء ، وهذه العوامل الخمسة بتفاعلها الكيماوى والفيزيائى تنبت البذرة أو النواة التى تأخذ بالنمو والازدهار . وإذا نظرنا إلى البذرة أو النواة قبل وضعها فى التربة ظهرت لنا كأنها لا حياة فيها ولكنها تحيا وتنمو بعد أن تتفاعل كيماويًّا وفيزائيًّا مع العوامل الخمسة المذكورة آنفا . ولم يتوصل العلم حتى الآن وربما لن يتوصل أبداً إلى معرفة كيفية إحياء هذه العوامل للبذرة بعد موتها ولماذا أحيتها . وعظماء الكيميائيين من العلماء الفطاحل أمثال (باستور) و(لبسيج) قد اعترفوا متواضعين بأنه لا يمكن خلق خلية من الخلايا النباتية والحيوانية ولا إيجاد بيضة جرثومية أو عضلة من أصغر العضلات أو عصب أو تركيب ورقة بسيطة صالحة للنشوء والنمو نظراً للعجز عن إيجاد مادة عضوية

ذات حياة مع أن أجسام النبات والحيوان الظاهرة مركبة من مواد معروفة التحليل والتركيب كيماويًّا تقتضى بالضرورة الاعتراف بوجود قوة خفية فى أسرار الخلقة فى النبات والحيوان ، ولذلك اعتقد العلماء بوجود قوة معنوية للحياة لا نستطيع إدراكها ﴿ يُخْرِجُ الحىَّ مِنَ الميتِ ... ﴾ [يونس : ٣١] .

٦٦ – القوة الجاذبية الخارقة الخفية وخطورتها

أثر القوة الجاذبية فى الكون خطير وعظيم جداً ، فلولاها لما تماسكت أجزاء الأرض على سطحها ولما كان للأجسام على الأرض ثقل أو وزن ولطارت هذه الأجسام عن الأرض بالحركة فى الفضاء ولم تعد إليها ولما استقرت المحيطات والبحار فى مستقرها ولما بقى هواء محيط بالأرض ولانعدمت الحياة على سطحها بانعدام الهواء ولبقى السحاب معلقاً ولما عاد الماء إلى الأرض أبدًا بعد أن يفارقها متبخراً بحرارة الشمس ولفارقها بخاراً مع الهواء ولجفت جميع المياه فى الأرض فى النهاية ولما بقى عليها بحر ولا نهر ولانعدمت فيها الحياة بانعدام الماء . على أن أهمية قوة الجاذبية فى الكون أعظم من هذا بكثير فإن الجاذبية ليست بين الأرض وما عليها فقط بل بين الأرض وما عداها من الكواكب ، ثم هى أيضاً بين كل كوكب وما عداه فكل كوكب فى ملكوت الله يجذب كل كوكب آخر طبق سنة الجاذبية التى يمسك الله بها سبحانه السموٰات والأرض فى مواقعها التى قدرها لها !

ولكن ما حقيقة هذه القوة ؟ فكاشف قانون الجاذبية (نيوتن) نفسه والعلماء الطبيعيون كلهم لا يعرفون حقيقة هذه القوة ! ولا كيف نشأت ولا كيف تقع حتى إن (نيوتن) نفسه يعتقد أن سبب الجاذبية مجرد إرادة الخالق وهى من القوى الخفية التى لا تدرك وتعرف إلا من آثارها !

﴿ خلَق السمٰواتِ بغيْر عَمدٍ ترونَها ﴾ [لقمان : ١٠] ﴿ إنَّ الله يُمسِكُ السمٰواتِ والأرْضَ أنْ تزُولَا ﴾ [فاطر : ٤١] ﴿ ومِنْ آياتهِ أنْ تقْومَ السماءُ والأرضُ بأمرهِ ﴾ [الروم : ٢٥] .

ومما هو جدير بالذكر والاعتبار والاستبصار ، أن العلماء قدروا سرعة الجاذبية هذه بأكثر من سرعة الضوء بسبعة ملايين مرة !! مع العلم أن سرعة الضوء تبلغ (٣٠٠) ألف كيلو متر فى الثانية !! فاعتبروا يا أولى الألباب ..!! ﴿ وَمَا مِنْ غائبةٍ فى السماءِ والأَرْضِ إلَّا فى كتابٍ مُبينٍ ﴾ [النمل : ٧٥] .

٦٧ – الموازنة فى المجموعة الشمسية

اعترف كثير من العلماء الغربيين وخاصة علماء الطبيعة والفلك منهم ، بوجود خالق قدير منظم على جانب عظيم من العلم والحكمة .

ويكفى فى هذا الصدد أن نذكر منهم (لابلاس) من أكابر الحكماء والمعدود من شيوخ الرياضيين والفلكيين ، يقول هذا العالم الفذ بعد إيضاح مجموعة الشمس : (إن النظام المحير للعقول المشاهد فى حركات الأجرام التى تتألف منها المجموعة الشمسية لا يمكن أن يحصل صدفة بل إن الصدفة كلمة لا يصح النطق بها ..!! فى لغة العلم ، إن الصدفة معدومة ومحال فى هذا العالم الذى نرى فيه كل شيء خاضعاً لقوانين الموازنة وقوانين الحساب التى عينتها إرادة غيبية وحكمة بالغة ..!! وما الشيء الذى ندعوه الصدفة إلا محصل القوات الغيبية التى لا نعلم عن صورة تأثيرها شيئاً بل لا نعلم عن وجودها شيئاً فى حين أنها تحفل حولنا .

وبناء عليه ليس من الممكن أن نحمل هذا النظام الرائع الذى نراه فى المجموعة الشمسية على الصدفة ولابد من الاعتراف بوجود سبب أصلى عام منظم لهذا النظام ، ثم يقول : (إن السيارات الموجودة فى المجموعة الشمسية تدور حول الشمس والتوابع « الأقمار » المنتمية لكل سيار تدور حول سياراتها متتبعات لمداراتها على شكل قطع ناقص « إهليلجى » وفق القوانين التى اكتشفها « كبلر » و « نيوتن » رصداً وحسابا . ولما كانت السيارات والأقمار مالكة كالشمس لقوة جاذبية ، فإن بعضهن يؤثر فى بعض تأثيراً متناسباً تناسباً معكوساً لمربع المسافة التى بينها . فإن محاركها يصيبها خلل متنوع ويؤدى تكرر ذلك الخلل وتراكمه إلى تغير المحارك وسقوط السيارات

على الشمس والتوابع على متبوعاتها أو إلى خروجها من المجموعة الشمسية أو اصطدام بعضها ببعض وحدوث أنواع المد والجزر والإعصار على سطوحها أو غير ذلك من الاختلالات والأخطار . وقد اهتم علماء الهيئة « الفلك » بجميع هذه الحالات الهائلة ، وبنتيجة دراسة الجداول الرصدية المضبوطة منذ عشرين قرناً ، ظهر أن مجموعتنا الشمسية مصونة من أمثال هذه المخاطر وأن التوازن حاصل بالرغم من أنواع التذبذب والتموج وبالرغم من وقوع تلك الاضطرابات فى صورة سلبية وإيجابية ومضرة ومفيدة .

وقد أمكن فى الزمن الأخير وضع معادلة بالحساب التفاضلى للشمس والأرض والقمر من حيث ثقل كل منهما وسرعته ومسافته ، باعتبار أن يكون أحدها فى المركز ثابتاً جاذباً ولكنه جارٍ وهو الشمس ، وأحدها مشوشا وهو الأرض والآخر متشوشا وهو القمر ، بيد أنه ظهر بعد ذلك ، أن الرياضيات العالية غير كافية لوضع دستور يضمن النظام والتوازن لأكثر منها ، أما القدرة الفاطرة فقد عينت جسامة الأجرام الموجودة فى المجموعة الشمسية وكثافتها وثبتت أقطار مداراتها ونظمت حركاتها بقوانين بسيطة ولكنها حكيمة ، وعينت دورات السيارات حول الشمس والتوابع حول السيارات بأدق حساب بحيث أن هذا النظام منذ تربليونات السنين بل أكثر يستمر إلى ما شاء الله هذا النظام المستند إلى حساب يقصر عقل البشر عن إدراكه والذى يضمن باستمرار استقرار المجموعة إزاء ما لا يعد ولا يحصى من أنواع المخاطر المحتملة ، أجل هذا النظام لا يمكن أن يحمل وجوده على الصدفة بل إن هناك عالما حكيما قديراً قدر كل ذلك ، فانظر أيها القارىء إلى هذا التدبير والتقدير اللذين أحكمهما فاطر السموات والأرض ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ [فاطر : ٤١] صدق الله العظيم .

٦٨ – القوى الخفية المدهشة الخارقة فى هذا الكون العجيب

بنتيجة البحث المتواصل الدقيق علم أنه ما عدا الأشعة الضوئية التى تشعها الشمس توجد أشعة أخرى أطلق عليها اسم (الأشعة الكونية) وموجات هذه الأشعة قصيرة جداً إذا قورنت بأشعة الضوء أو أى نوع آخر

من الأشعة المعروفة ، ومن المعلوم أنه كلما قصر طول الموجة كانت طاقتها أشد وإن طول كل موجة هو المسافة الواقعة بين أعلى نقطتى موجتين متتاليتين . فطول موجة الشعاع الأحمر مثلاً ٨/١٠ من الميكرون (الميكرون هو واحد من المليون من المتر) وطول موجة الشعاع البنفسجى ١/١٠ من الميكرون وطول موجات الأشعة الكيمائية فوق البنفسجية أصغر من ذلك وموجات الأشعة الحرورية تحت الحمراء أعلى من الميكرون ...

وهكذا .. فهذه هى الأشعة الضوئية وما ماثلها . وأما موجات الأشعة الكونية العجيبة فهى أقصر بملايين المرات من الأشعة المذكورة آنفا !! ولذا إن طاقتها عظيمة جداً ولها قدرة على النفاذ خلال طبقات سميكة من أية مادة معروفة ، وقد أمكن إدراك وجودها فى الأنفاق التى تسير فيها القطارات الكهربائية بلندن وذلك على عمق ثلاثين متراً من سطح الأرض !! وهذه الأشعة ليست سوى طاقة مهولة تعبر فضاء الكون من مصدر مجهول وتصل إلينا على صورة أشعة غير مرئية !! وتؤثر فينا تأثيرات عجيبة !! أفليس ذلك برهان ساطع على خالق مهيمن جبار متكبر رب العالمين ﴿ وَيَخْلُقُ ما لَا تَعلَمُون ﴾ ﴿ قل انظرُوا ماذَا فى السمٰوات والأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] ﴿ ومَا مَنْ غَائِبةٍ فِي السماءِ والأرضِ إلا فى كتابٍ مبينٍ ﴾ [النمل : ٧٥] .

٦٩ – التقدير الرائع فى درجة ميل مدار القمر وفى سرعتى الأرض والقمـــر

قدر ميل مدار القمر عن مدار الأرض تقديراً محكما ، يتراوح هذا الميل بين الصفر وبين ١٩,٥° فلو كان الميل الأعظم هذا أقل مما هو عليه لكثرت حادثات الكسوف والخسوف فى السنة الواحدة بل لو كان الميل المذكور حوالى الدرجة أو أقل من ذلك لحدث كل شهر عند المحاق ظاهرة الكسوف وعند البدر ظاهرة الخسوف مما لا يتلاءم مع طمأنينة الحياة ، ولو كان الميل الأعظم أكثر ١٩,٥° ، أو لو كان مداره عموديا على مدار الأرض كالأقمار الأربعة للكوكب السيار (أورانوس) لكان فى الحالة الأولى أن لا تحدث

ظاهرة الكسوف ولا الخسوف إلا فى مدة قد تبلغ العشرات من السنين وفى الحالة الثانية تنعدم تلك الظاهرة بتاتاً ، وهذا مما لا يأتلف مع حكمة حدوث الكسوف والخسوف بين حين وآخر ليكون عبرة بالغة للإنسان بأن يتفكر فى وجود الشمس التى هى مصدر الحياة ، وفى وجود القمر الذى يبدد ظلمات الليل بنوره الخلاب فضلاً عن أن كثيراً من الظواهر الطبيعية اكتشفت ، وقدرت من وجهة علمية عن طريق حادثتى الكسوف والخسوف ، كتقدير سرعة الضوء وسرعة حركة الأرض والقمر حول مداريهما وبنية الشمس الفيزائية وغير ذلك من الشئون الفلكية المهمة التى لها علاقة كبيرة بالحياة الأرضية .

وعدا ذلك قدرت سرعتى الأرض والقمر تقديراً يحير أولى الألباب . فسرعة القمر على مداره تبلغ (٣٣٨٠) كيلو متر فى الساعة ، بينما سرعة الأرض فى حركتها حول نفسها عند خط الاستواء تبلغ (١٦٧٥) كيلو مترا فى الساعة حيث هى أكبر سرعة لها ، أما فى العروض الأخرى فتقل عن ذلك ، ولذا لا يلبث الظل القمرى فى الكسوف أن ينتقل بسرعة على سطح الأرض فتكشف الشمس عن النواحى التى غمرها بظله من سطح الأرض فى مدة وجيزة لا تتجاوز بضع دقائق . هذا فى الكسوف أما فى الخسوف فيتمكن القمر بعد انغماره فى ظل المخروط الأرضى أن يتخلص منه ويعود كما كان بدراً منيراً فى مدة سويعات ، ولو كانت سرعة القمر تساوى سرعة الأرض لتركز الكسوف فى بقعة واحدة صغيرة جدًّا من الأرض دون غيرها ولتركز الخسوف فى نصف من الأرض فقط دائماً دون النصف الآخر فى كل حادثة خسوف ، وهذا كله يتنافى مع المساواة الطبيعية ، لعدم شمول الظواهر الطبيعية هذه سطح الأرض كله على التتابع والتناوب لتكون بصائر للبشر جميعا ، وفى هذه الحالة – أى فى حالة التساوى فى السرعة – لو قدر للقمر أن ينغمر فى ظل الأرض فى دورته الأولى حولها لأول مرة للبث فى بطن حوت ظل الأرض إلى يوم يبعثون (تأمل) ولو كانت سرعة القمر المدارية أقل من سرعة الأرض المحورية كما فى إحدى قمرى السيار (المريخ) لاختل نظام الأشهر القمرية إذ يزداد الشهر القمرى عما هو عليه الآن أياماً تتناسب مع قلة سرعته

ولازدادت مدة الكسوف والخسوف لدرجة أن تضطرب الحياة على وجه الأرض اضطراباً كليا ، أليس ذلك كله بدليل قاطع على وجود قادر حكيم عليم قدَّر فدبَّر كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ ولَمْ يكُنْ لهُ شَريكٌ فى المُلْكِ وخلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرهُ تَقْديراً ﴾ [الفرقان : ٢] .

٧٠ – ظاهرة كونية باهرة

نلفت نظر القارىء إلى ظاهرة كونية باهرة وهى أن العلم أماط اللثام عن حقيقة كونية رائعة تدل دلالة ساطعة على واجب الوجود فاطر السمٰوات والأرض، وهذه الحقيقة هى الوحدة فى الخلقة والتكوين كما جاء قوله تعالى: ﴿ ما تَرَى فى خَلْقِ الرحمٰنِ مِنْ تفَاوُتٍ ﴾ [الملك : ٣] فكل ما فى الوجود وكل ما فى الكون من مظاهر مادية ترجع كلها إلى مادة واحدة وهى الذرة ! وما أدراك ما الذرة وما فيها من قوة جبارة هائلة تذهل العقول على صغرها ؟ فتحت الذرة مغاليقها للإنسان ، فماذا رأى فيها ؟! رأى وياهول ما رأى ! قوة عاتية لو انطلقت من عقالها لكانت أقوى فتكاً من أشد أنواع المتفجرات بألوف المرات .. بناها المهندس الأعظم رب العالمين وخالق كل شيء .

تتكون الذرة من جسيم صغير أطلقوا عليه اسم النواة تسبح حوله جسيمات أصغر منه وأدق يكاد وزنها لا يذكر ، فالذرة (كما بناها الخالق) تشبه الشمس وما يدور فى فلكها من توابع وسيارات وتتوزع الكهارب حول النواة فى ترتيب بديع . وجل مادة الذرة تتركز فى النواة التى تحمل شحنة من الكهرباء الموجبة تعادل كل الشحنات السالبة التى تحملها الكهارب المحيطة بها !! والكهرب الواحد يحمل كمية من الكهرباء السالبة تتساوى فى جميع كهارب العناصر المختلفة . هذه هى الذرة . الهباءة التى يتراوح قطرها بين جزء من مائة مليون جزء وجزء من عشرة ملايين جزء من السنتمتر والتى أبت (آخر الأمر) أن يحقرها الإنسان ففتحت له قلبها وكشفت له عن آية من آيات الإله السرمدى عله يتذكر أو يخشى ، كشفت له عن (نارها الخالدة) قوة كامنة وطاقة جبارة مختزنة فاستغلها ؟!

فإن القوة المكونة فى الذرات عظيمة لدرجة لا يتصورها العقل كما دلت على ذلك الكشوف والحسابات الأخيرة، فإن القوة المكنوزة فى غرام واحد من المادة مثلاً يعادل (٥١٠) مليون من الكيلو غرامترات (والكيلو غرامتر هو القوة الفعالة الكافية لرفع الكيلو غرام من الثقل إلى متر) أى أن تلك القوة تعادل سبعة ملايين حصان تجارى (وكل حصان تجارى ٧٥ كيلو غرامتر) وقد حسب العلماء أن القوة التى تستخرج من تحطيم غرام من ذرات المادة يمكنها أن ترفع ثلاثين مليوناً من الأطنان (الطن يساوى ألف كيلو غرام) إلى ارتفاع (٣٠٠ متر) وهذا يعادل تسع بليونات كيلو غرام أى (١٢٠) بيليون من الحصن التجارية ، وهذه القوة لا تصل إليها جميع البواخر والآلات التجارية الموجودة فى الدنيا كلها ، وهذه المقادير بالرغم من الاختلافات ليست فرضيات شخصية بل هى مستندة إلى تجارب وحسابات دقيقة !!

إذاً فأصغر ذرة هى آية باهرة ، كالنظام الشمسى من آيات القدرة الإلهية والحكمة السبحانية . وكل ما فى الكون من أصغر ذرة إلى أكبر شمس لشاهد عادل وبرهان قاطع على وجود البارىء تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لهُ ما فِي السمٰواتِ والأرْضِ وهُوَ العَزِيزُ الحكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٤] ﴿ وَما يعزُبُ عَن ربِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذرةٍ فى الأرضِ ولا فى السماءِ ﴾ [يونس : ٦١] .

٧١ - مخترعات الإنسان العلمية

لو تأملنا المخترعات العلمية العصرية لهالنا أمرها ، فهذا المذياع (الراديو) مثلاً بمجرد فتحه بمفتاحه الخاص وتوجيهه إلى الجهة المراد استماعها من العالم نتمكن أن نستمع منه مختلف الأخبار والأحاديث والموسيقى وغيرها من أقصى الأرض عن طريق الفضاء وقد علمنا وسمعنا بمخترع عجيب آخر وهو (التلفزيون) وهو نوع من الراديو نرى ونشاهد على لوحة منه أنواع الحفلات بأشخاصها كما نشاهد على لوحة السينما (الخيالة) . وهناك اختراع آخر يحير العقول فهو يمكن الإنسان بمجرد ضغط زر كهربائى فى جهاز خاص من أن يوجه صاروخاً أو طائرة دون قائد لهما إلى أية جهة كانت وإلى أبعاد تبلغ مئات مئات الأميال إلى هدف معين مقصود ! كل هذه المخترعات المدهشة

قام بصنعها إنسان بعقله الجبار وبفكرته الوقادة وباطلاعه على بعض أسرار الطبيعة . فكيف يعقل أن مادة طبيعية غير مدركة وغير عاقلة خلقت هذا الإنسان بهذا الإدراك المتسامى ؛ لولا إرادة عالمة مدركة أودعت فى الإنسان القدرة العجيبة ؟!!

﴿ علَّم الإنْسَانَ ما لَمْ يعْلمْ ﴾ ﴿ إنَّ فى ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لهُ قلبٌ أوْ ألقَى السَّمعَ وهُوَ شَهيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ﴿ إنَّ هذهِ تَذْكِرةٌ فمن شاءَ اتخذَ إلَى ربِّه سَبِيلاً ﴾ [المزمل : ١٩] .

* * *

فهـــرس

الموضـــوع	الصفحة